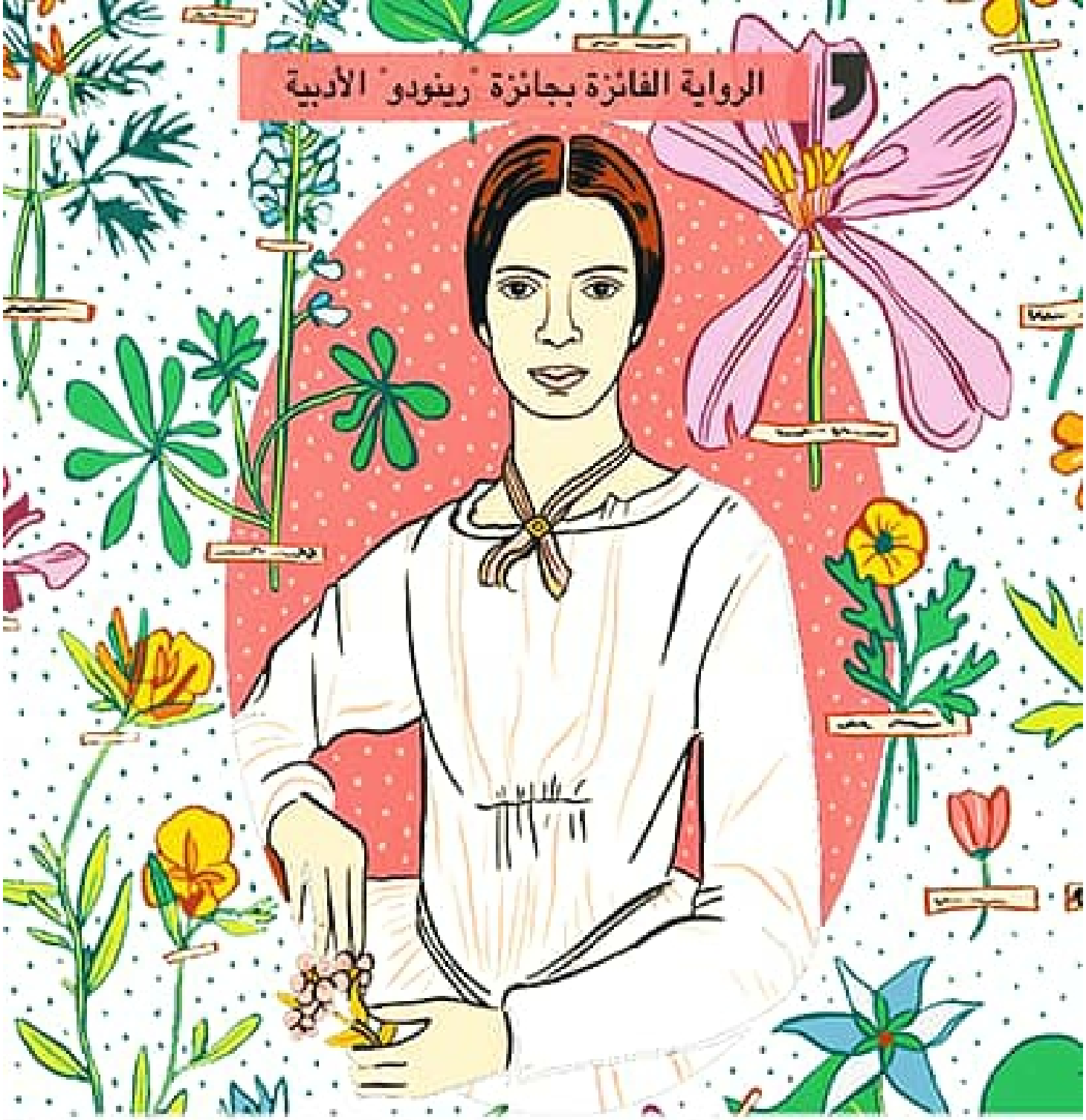

بيوت من ورق

Telegram:@mbooks90

دومينيك فورتييه

ترجمة: نهى مصطفى

العربي للنشر والتوزيع

روايات مترجمة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بيوت من ورق
تأليف: دومينيك فورتييه
ترجمتها عن الإنجليزية: نهى مصطفى
تحرير: يوسف الشريف
مُراجعةٌ لُغوية: محمد عبد المحسن

طبعة 2024
الطبعة الأولى
رقم الإيداع: 20326/2023
الترقيم الدولي: 9789773199272

© جميع الحقوق محفوظة للناشر

60 شارع القصر العينى – 11451 - القاهرة – مصر
ت: 20227921943 +20227954529+
www.alarabipublishing.com.eg
alarabipublishing@gmail.com

تصميم الغلاف: يوسف الشريف

© Dominique Fortier and Éditions Alto, 2018
"This edition is published by arrangement with Éditions Alto in conjunction with their duly appointed agents Books And More Agency, Paris, France. All rights reserved. »
Originally published as, *Les villes de papier*

٢٧٠٥٨١٨٦٥٨

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

دومينيك فورتييه

بيوت من ورق

روايةٌ مِنْ كندا/كيبيك

ترجمة: نهى مصطفى

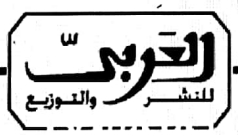

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إيميلي

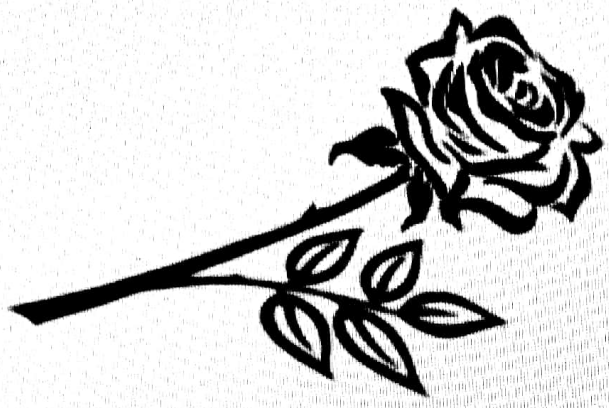

"إيميلي" هي مدينة مبنية من الخشب الأبيض، تحتضنها حقول البرسيم والشوفان. تتميز المنازل المربعة بأسقف مائلة وشبابيك زرقاء تُغلق مع اقتراب المساء، ومداخن تنسلُّ منها الطيور أحيانًا لتطير بشكل محموم عبر كل غرف المنزل بأجنحة مغطاة بالسخام. وبدلًا من طردها، يتبناها أهل المنزل حتى يتعلموا طريقتهم في الغناء.

يبلغ عدد الحدائق في المدينة عشرة أضعاف عدد الكنائس، وجميع الكنائس مهجورة، تنمو أزهار الجرس والفطر في ظلها الهادئ. يتحدث سكان المدينة بلغة الإشارة، لكن بما أن كل شخص يستخدم إشاراته التي ابتكرها بنفسه، فهم بالكاد يفهمون بعضهم بعضًا، وعمومًا، فهم يفضلون تجنب التواصل.

في الشتاء، تُغطى "إيميلي" بالثلج، حيث يكتب عصفور القرقف المتعلم قصائد بيضاء نقية بأقدامه الرقيقة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أمهرست

"أمهرست"، بولاية "ماساتشوستس"، هي مدينة - تقريبًا قرية - لا تتواكب مع الزمان والمكان. عندما ولدت "إيميلي" عام 1830، كان عدد سكانها 2631 نسمة، ولم تكن "شيكاجو" قد تأسست بعد. بحلول عام 1890، بعد أربع سنوات من وفاة "إيميلي"، كان عدد سكان "شيكاجو" 1,099,850 نسمة، في حين لم يتخطّ عدد سكان "أمهرست" 5000 نسمة بعد.

إنها مدينة صغيرة مثقفة كانت موطنًا لجيل بعد جيل من عائلة "ديكنسون" البارزين. تم تسميتها على اسم "جيفري أمهرست"، البارون الأول الذي حمل هذا الاسم، وهو الرجل نفسه الذي اقترح أثناء الحروب الهندية الأمريكية أن يحصل الهنود على البطانيات التي تم استخدامها لتدفئة مرضى الجدري، كما قال، للقضاء على هذا المرض الذي أخذ يحصد الأرواح في سباق مريع. كان من الممكن اختيار

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

اسم أفضل للمدينة.

نتعرض هذه الأيام لسيل لا نهائي من الصور، لذلك فمن المثير للدهشة أن نكتشف أنه لا توجد سوى صورة واحدة فقط للمرأة التي تُعد واحدة من أعظم شعراء بلادها. وهي صورة التُقطت لها عندما كانت في السادسة عشرة من عمرها.

Telegram:@mbooks90

في هذه الصورة الشهيرة تبدو شاحبة ونحيفة وترتدي شريطًا مخمليًا داكنًا حول عنقها الطويل. يظهر الانتباه الهادئ في عينيها السوداوين الواسعتين، مع شبه ابتسامة على شفتيها. شعرها مسحوب للخلف مع فرق في المنتصف. ترتدي فستانًا بسيطًا مخططًا، يظهر الخصر، مع ياقة فاتحة اللون، وفي يدها اليسرى تمسك ما يمكن أن يكون باقة زهور صغيرة. وعلى المنضدة التي تجلس بجانبها هناك كتاب، لكن عنوانه غير واضح.

لا توجد صور أخرى تُظهرها أصغر، أو أكبر من هذه الصورة، ولا توجد أي صور لها في مكان آخر، أو حتى وهي واقفة، وربما تكون جميعها قد فُقدت أو دُمرت. لا يوجد صورة تظهر فيها قدماها، ولن توجد هذه الصورة أبدًا. سشعرف بهذا الوجه فقط إلى الأبد بهذا القناع.

"إيميلي ديكنسون" هي لوحة فارغة، وصفحة فارغة. فلو أنها اختارت في نهاية حياتها أن ترتدي فستانًا أزرق، فلن نعرف ولن نتمكن من الكتابة عن الأمر.

في سن الخامسة؛ ذهبت "إيميلي إليزابيث" الصغيرة لتقضي بضعة أيام في منزل خالتها بـ"بوسطن". في الطريق إلى هناك، ضربت عربتهم عاصفة عنيفة. انفجر البرق في السماء الغائمة، وضرب المطر النوافذ فأصدر أصواتًا تشبه صوت ارتطام الحصى وهو يرتطم بالزجاج. احتضنت الخالة الطفلة لطمأنتها. لكن الطفلة لم تكن خائفة. بل مفتونة، فقد مالت نحو الزجاج البارد، ووضعت جبهتها عليه، وهي تهمس: "نار".

***

في منزل الخالة، النوافذ مرتفعة للغاية لدرجة أنها حتى عندما تقف على أصابع قدميها، لا يمكنها رؤية أي شيء سوى السحب في السماء. صعدت على سريرها لتنظر إلى الشارع في الأسفل، والأشجار المصطفة على جانبي الطريق، والناس

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يسيرون على الأرصفة.

تقوم بقفزة مترددة، ثم ثانية، وثالثة، أعلى وأعلى على المرتبة المصنوعة من ريش الإوزة التي تنخفض برفق تحت وزنها. يقفز الشارع في الوقت نفسه معها، بكل شخصياته الصغيرة، مثل لعبة الجنود تهتز في صندوق.

- "إليزابيث"!

تقف الخالة في المدخل وتبدو غاضبة. تتوقف الطفلة على الفور عن القفز، وتقف منتصبة، على ساقيها الصغيرتين، وتجيب بصوت عالٍ وواضح:

- ناديني بـ"إيميلي"، إذا سمحتي.

***

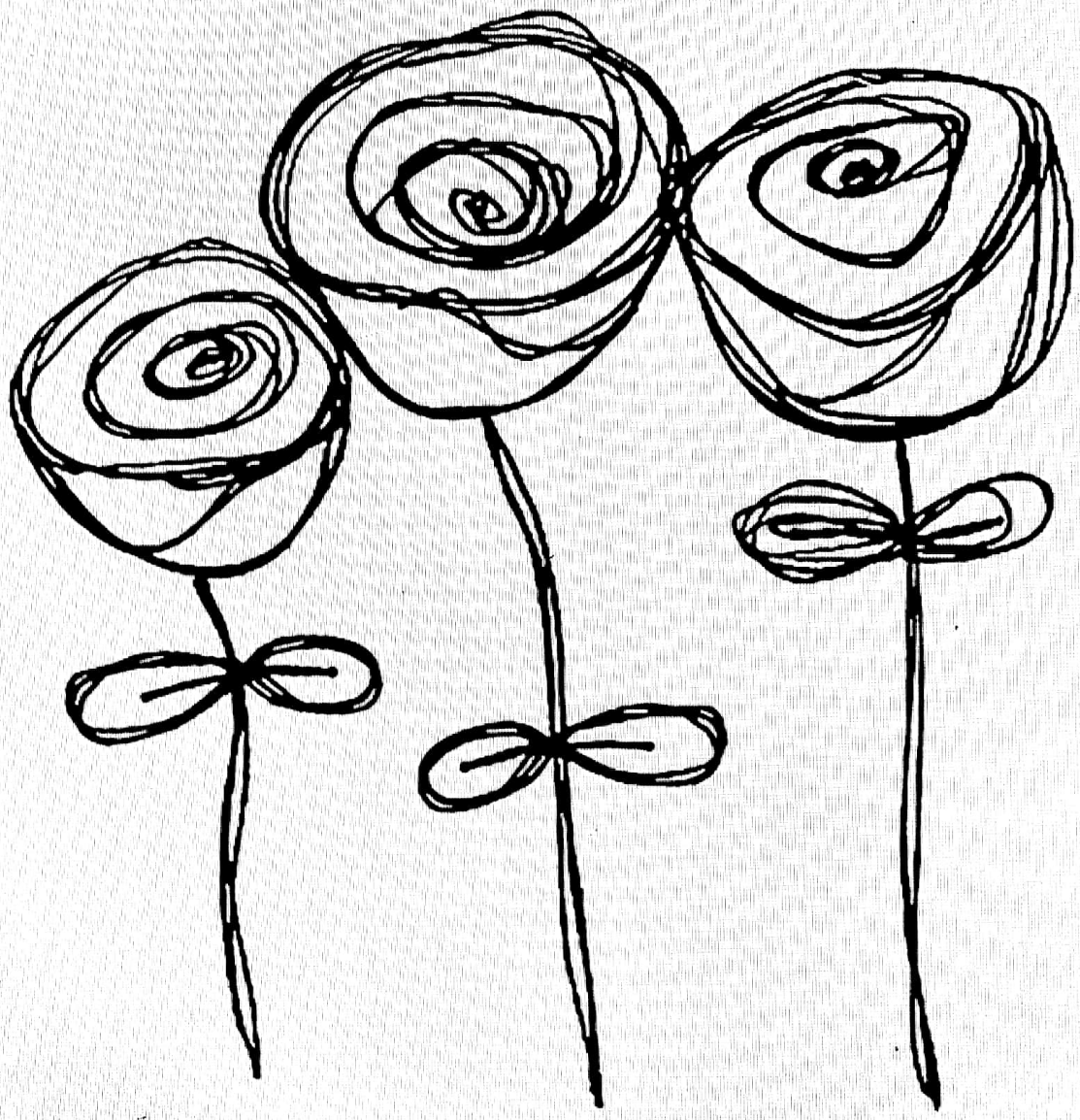

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يهبط طائر الـ"روبن" على حافة النافذة، حيث نثرت "إيميلي" فتات الخبز. يبدو صدره مثل واحدة من ثمار البرتقال المعجزة التي تملأ الجوارب المعلقة على المدخنة عشية عيد الميلاد.

يبتلع قطعة خبز، ثم يروي قصصًا طويلة عن الطيور في سلسلة من التغريدات. يتحدث عن الديدان، وأنثى طائشة، ومجموعة من البيض لونها أخضر يميل إلى الزرقة، وقد اختفت إحداها في ظروف غامضة. تستمع "إيميلي" مرتجفة، مرفوعة الرأس، بعيون لامعة. تلتقط فتات الخبز بين إبهامها وسبابتها وتضعها بين شفتيها. إنها وجبتها المفضلة في اليوم.

***

عندما تخطئ، فهي دائمًا ما تقع في الخطيئة نفسها؛ الشراهة، التي تجبرها على قضم قطعة من الفطيرة التي يجب أن تبرد أولًا في المطبخ. ويدفعها النهم إلى سرقة المجلد المحظور الذي يقبع على أحد الأرفف في مكتب والدها. لا تنخدع الأم أبدًا وتعاقبها دائمًا بالطريقة نفسها؛ ترسلها إلى غرفتها دون أي وسيلة من وسائل التسلية التي يحبها الأطفال.

بعد انتهاء عقوبة "إيميلي"، لا تلاحظ الأم أن ابنتها دائمًا ما تشعر بالأسف لانتهاء فترة عزلتها. ربما هي لا تعرف "إيميلي ديكنسون" بما يكفي لتعتقد أن حبسها بعيدًا في صمت - وحيدة بأفكارها - لا يمكن أن يكون عقوبة.

***

إذا استطاعت أن يمر يوم - يوم واحد فقط - دون أي ضرر، أو أفعال سيئة، أو أفكار مروعة، فستبدل حياتها كلها بهذا اليوم المميز والمثالي. لكن الحقيقة هي أنها غير متأكدة من رغبتها في أن تحسن التصرف. فزهور "الإقحوان" لا تتصرف بشكل جيد، ولا الأوز عندما يطير فوقها في سرب على شكل V. إنها أفضل من أن تصبح مهذبة.. إنها برية مثل الخردل، تنبت دون رادع مثل الأعشاب الضارة.

تعج الحديقة بتمتمات الزهور الشاكية. لم يتعافَ "البنفسج" من دهسه بعد. تشتكي زهرة من أن عباد الشمس الكبير يلقي عليها بظلال واسعة. تراقب ثالثة بتلات جارتها. تخطط زهرتان من "الفاونيا" لإبقاء النمل بعيدًا عنها. زهرة "الزنبق"

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الطويلة الشاحبة تتذمر من برودة جذورها، لأن الأرض رطبة جدًا. الورود تعيش حياة سيئة للغاية، لأنها تشعر بالضيق من النحل، وتنزعج من الضوء الساطع، تسكر من عطرها. فقط "الهندباء" هادئة، سعيدة فقط لكونها على قيد الحياة.

الزهور التي قطفها الأطفال بعد الظهر ملقاة في سلة من الخوص. يأخذ الأب زهرة "بنفسج" بين أصابعه الشاحبة ويشرح بصوت القس:

- للحفاظ عليها، تحتاجين إلى تجفيفها أولًا.

بدأت الزهرة تذبل بالفعل في يد الأب، فيضعها جانبًا ويخرج مجلدًا من مجلدات الموسوعة البريطانية، التي تصطف في مجموعة مرتبة من الجزء 1 إلى 21، على رف في منتصف المكتبة. يفتحه، ويتصفح الصفحات بعناية.

- بعد بضعة أشهر، ستمتص الصفحات رطوبة النبات ويمكنك لصقها في المعشبة، "المكان الذي تحتفظ به بالورود التي تحبها".

تمتلئ "إيميلي" بالإعجاب الصامت وتقول في نفسها: "الكتب تشرب ماء الزهور!".

يستمر الأب بلهجة المعلم التي يستخدمها عندما يقوم بالتدريس، وهو يقوم به دائمًا:

- لتذكري المكان الذي وضعت فيه العينة، أقترح اختيار رقم صفحة يتوافق مع تاريخ مشهور، على سبيل المثال، تاريخ بداية حرب المائة عام..

فيهمس الثلاثة معًا:

- 1337.

يهمس كل من "أوستن" و"لافينيا" و"إيميلي" في صوت واحد.. اختار "أوستن" و"لافينيا" مجلدًا، وأدخلا بتلات الزهور برفق بين أوراق الكتاب، وتمتما لأنفسهما - "تاريخ إعلان الاستقلال، سقوط الإمبراطورية الرومانية، عيد ميلاد الام" - "إيميلي" فقط هي من بدأت في نثر الزهور بشكل عشوائي في الجزء الذي اختارته. يراقبها الأب للحظة، عابس الجبين.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- كيف ستجدين عيناتك إذا وضعتها في أي مكان هكذا؟

ضحكت:

- سوف أجدهم.

بعد أشهر؛ عندما كانوا في منتصف الشتاء يخرجون زهور الصيف من الكتب التي تركوها فيها، فتحت "إيميلي" القاموس دون تفكير. بينما يتمتم الآخرون بالأرقام، كانت تقول كلمة واحدة فقط سحرية: "الياسمين". و"يظهر الياسمين". أوضحت لهم "إيميلي" طريقتها الخاصة في التعامل مع القاموس.

تقطف أوراق النعناع وبتلات الورد وزهور "البابونج" وتعطيها للأم لتعلقها في المطبخ لتجف. هذه النباتات ليست للمعشبة. بل ليشربوها خلال فصل الشتاء.

في نهاية الصيف تحتفظ بالبذور المنزوعة في كيس صغير، بعيدًا عن متناول الطيور، فتلك البذور ستصبح حديقة كاملة في النهاية.

***

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

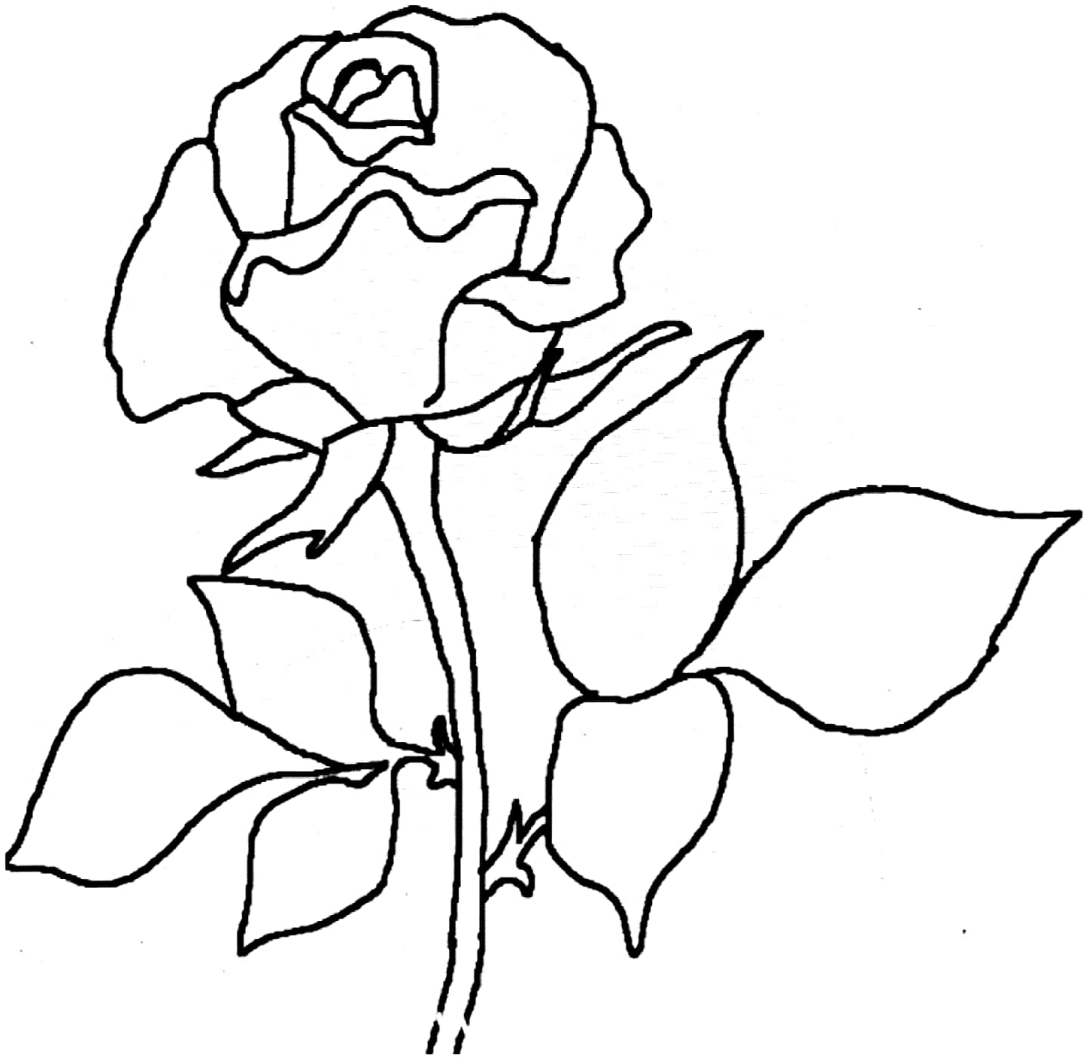

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأم في المطبخ، تجهز الفتاتان مائدة العشاء. الأب جالس بالفعل إلى رأس المائدة، كما هو متوقع، وينتظر. تضع "لافينيا" أدوات المائدة اليومية، وتتبعها "إيميلي" بأطباق البورسلين الزرقاء والبيضاء. يصدر الأب صوت طقطقة معترضًا بمجرد أن تضع الطبق أمامه:

- نعم يا أبي؟

- أود أن أعرف لماذا أحصل دائمًا على الطبق المشروخ؟!

تتراجع "إيميلي" وتحدق. هذا صحيح.. الطبق الذي وضعته أمامه مكسورًا، تنقصه قطعة بحجم هلال صغير.

تقول:

- أنا آسفة.

تلتقط الطبق وتعبر بهدوء غرفة الطعام والمطبخ، وتفتح الباب المؤدي إلى الحديقة، حيث لاحظت صخرة كبيرة مسطحة، قامت بتحطيم الطبق عليها، وتطايرت القطع في كل مكان. تعود إلى المنزل بالخطوة الهادئة نفسها وتقول:

- لن يحدث ذلك مرة أخرى. أعدك.

جلس الأب مذهولًا دون أن يجيب. بدا انعكاسه على زجاج الطاولة مندهشًا مثله تمامًا. في الحديقة؛ بدت شظايا البورسلين مثل بقايا حضارة مفقودة.

***

"أوستن" هو أول من يستيقظ. يركض إلى غرفة نوم "إيميلي" و"لافينيا"، وتقفز "لافينيا" إلى النافذة؛ الحديقة مغطاة باللون الأبيض، والأشجار مزينة بأكاليل. يتسابق الثلاثة على السلم ليرتدوا أحذيتهم، ومعاطفهم، وقبعاتهم، وشالاتهم، وقفازاتهم. عند أسفل السلم، يرمقهم الأب. لا يقول شيئًا لكنه يريهم تعبيره السلطوي. يوقف الأطفال أنفسهم ويتهذبون قليلًا فقط.

لم يخرج أحد بعد، فهم أول من يسيرون على الثلج الأبيض في الحديقة، ويرسمون ثلاث متاهات مترابطة. يصنعون كرات ثلجية تنفجر مثل مفرقعات من

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الدقيق الأبيض على معاطفهم الداكنة.

سقطت "إيميلي" على ظهرها وهي تلهث. ترفرف بذراعيها، ثم تفرد ساقيها وتضمهما معًا مرة أخرى، لتشكل من الثلج هيكلًا رقيقًا للإنسان. انهار "أوستن" على يمينها و"لافينيا" على يسارها. صنعوا من الثلج أشكالًا أخرى، بدت وكأنها مثل سلسلة من الدمى الورقية.

لا يزال الثلج يتساقط. وتذوب رقاقاته عندما تهبط على خدود الأطفال الوردية، ورموشهم بيضاء كما لو أنها قد رُشت بسكر البودرة. عندما قاموا أخيرًا، ظلت آثارهم على الأرض، ثلاثة تماثيل صغيرة ترقد في الثلج.

***

بعد سنوات؛ نظرت "إيميلي" من نافذتها في صباح أحد أيام ديسمبر، ورأتهم مرة أخرى؛ ثلاثة أشباح صغيرة، في الخامسة والسابعة والتاسعة من العمر. لم يعودوا أطفالًا، لم يعد لهم وجود، كأنهم دُفنوا. بعد سنوات، نظرت إلى أول تساقط للثلج، وانفجرت في البكاء.

***

في لوحة فنية لـ"أوتيس ألين بولارد"، يبدو الأطفال وكأنهم تنويعات للشخص نفسه (هل لأمهم؟ أوالدهم؟). على أي حال، بدوا وكأنهم كبار، تقلصوا إلى أحجام طفولية.. التعبير الجاد، والأنف الطويل، والابتسامة الضجرة. يمكن تبديل أي منهم مكان الآخر حرفيًا، باستثناء أن "أوستن" كان يرتدي بدلة صغيرة ذات ياقة بيضاء، بينما ترتدي الفتاتان الفساتين - أخضر بحري لـ"لافينيا"، ولون أغمق لـ"إيميلي" - مع ياقات من الدانتيل.

يبدون جميعًا بشعر قصير، بفارق على الجانب، لكن شعر الفتيات كان مشدودًا إلى الخلف. من الممكن إذا نظرت للصورة الآن، ستظن أنها لوحة تذكارية لثلاثة أطفال رحلوا عن الحياة، أو لوحة تم رسمها بعد سنوات من نمو الأخ والأختين، ورسموا الثلاثة الكبار البالغين كنماذج في اللوحة. لأننا نعلم بالطبع أن الأطفال نجوا، وكبروا، وأن أحدهم كان لديه أطفال. ربما ما تكشفه اللوحة هو أن البلوغ لا يحفظ الأطفال من الموت.

المسوحة ضوئيا بـ CamScanner

***

قال "أوستن" لـ"إيميلي"، وهم يسيرون في الشارع الرئيسي أمام المنزل الكبير الذي بناه جدهما "صامويل":

- هذا هو المكان الذي ولدت فيه.

تعلم ذلك، لقد ولدوا جميعًا في هذا المنزل. تمتنع عن أن تجيبه بقولها: "وهذا هو المكان الذي سأموت فيه".

قال "أوستن":

- عندما بناه الجد، كان أول منزل من الطوب في المدينة.

تعرف ذلك أيضًا. هذا المنزل الكبير الذي عاشت فيه حتى سن العاشرة لا يحمل لها أي أسرار. بعد العار، وانتهاك المقدسات، والإذلال، وفقدان الجد للمنزل، كان عليهم مشاركته مع عائلة التاجر الذي اشتراه. كانت عائلة "ديكنسون" تسكن في الجانب الغربي، وعلى الجانب الشرقي تعيش عائلة "ماك". في كل مرة تصادف فيها "إيميلي" أحد أفراد هذه العائلة في ممرات المنزل، كانت تقفز كما لو أنها رأت شبحًا أو دخيلًا تسلل من النافذة. ماذا يفعل هؤلاء الغرباء في منزلها؟!

حتى بعد ما يقرب من أربع سنوات من تركها المنزل، ظلت تتذكر أدق التفاصيل؛ رائحة الشمع على الأرضيات الخشبية فاتحة اللون، وخيوط ضوء الشمس التي تتسلل من خلال الستائر نصف المفتوحة في مكتب والدها، تلك الخيوط التي تجعل الحروف الذهبية على أكعب الكتب المجلدة تلمع. وتتذكر أيضًا عتمة غرفة الحليب الصغيرة حيث كانت هي و"أوستن" يلعقان القشطة من على فوهات زجاجات الحليب، والقبو البارد الذي تنبعث منه رائحة البنجر والبصل، وغرفة نومها المشمسة.

تعلَّم أن المنزل سيعود لها مرة أخرى. وكانت على حق. ففي عام 1855، اشترى والد "إيميلي" منزل العائلة وأعاد عائلة "ديكنسون" إليه، ومن هذه اللحظة فصاعدًا، سيشغلونه بالكامل وحدهم.

قام بطلاء الطوب بلون "الفانيليا" ومصاريع النوافذ بالأخضر، بالإضافة إلى

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إجراء بعض التحسينات، بما في ذلك بناء مشتل، حيث ستزرع "إيميلي" نباتات نادرة، وهو هدف آخر غريب يبدو أنها عازمة على التخصص فيه.

بعد أن عادت إلى منزل "هومستيد" وهي في سن الخامسة والعشرين، محت بضربة واحدة السنوات الخمس عشرة الماضية.

الآن، وقد عادت إلى "هومستيد"، إلى منزل طفولتها، فهي مصممة على عدم مغادرته مرة أخرى، لا المنزل ولا الطفولة. بعد أن عادت إلى المنزل في سن الخامسة والعشرين، تعتقد أنها، من بين جميع أفراد عائلتها، أكثرهم تفضيلًا له.

***

لأشهر، ظللت أعيد قراءة قصائد ورسائل "إيميلي ديكنسون"، وأدرس الأعمال الأكاديمية التي كُتِبَت عنها، وأبحث في المواقع عنها، وعن صور لمنزل "هومستيد"، ومنزل "إيفرجرينز" المجاور له، وبلدة "أمهرست"، حيث عاشت عائلة "ديكنسون". وحتى الآن، فهي بالنسبة لي مجرد مدينة على الورق.

هل هذا أفضل أم الأفضل أن أكتب عنها بعد زيارة المنزلين اللذين تحولا إلى متاحف؟

ببساطة، هل من الأفضل امتلاك المعرفة والخبرة اللازمتين لوصف الأشياء على حقيقتها أم حرية تخيلها؟ لماذا أنا مترددة للقيادة لمدة أربع ساعات لزيارة المكان؟ منذ متى وأنا أخاف من الغوص في أعماق كتاب؟

كلما طال انتظاري، اقترب الصيف من نهايته. وسرعان ما سيتحول كل ما تبقى من حديقة "إيميلي" إلى سيقان جافة وزهور باهتة. لكن ربما هذا هو الوقت الأنسب لاكتشافها، وليس في خفة أغسطس الجامحة.

***

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يقع المنزل الذي عاشت فيه "إيميلي" من سن العاشرة حتى الخامسة والعشرين في شارع "بليزانت"، مقابل المقبرة، حيث كانت تشاهد الجنازات تمر من أمام نافذتها عدة مرات في الشهر.

في غرفة صغيرة جدًا، ليست بعيدة عن المنزل، بحيث لا يمكن أن تكون حظيرة أو إسطبلًا، يحتفظون ببقرة ذات رموش طويلة، اسمها "دوروثي"، يتم حلبها صباحًا ومساءً، وتعطى الأسرة ما يكفيها من منتجات الألبان.

هناك أيضًا حصان كبير، اسمه "دوك"، في حقل قريب من البقرة، يربطه والدها بعربة عندما يخرج.

تضع الدجاجات الثلاث - "جوين" و"رين" و"إدويج" - البيض كل يومين، ويعيشون في كوخ صغير مع الديك - "بيك" - الذي يراقب الدجاجات بحرص شديد.

هناك أيضًا، خنزير ليس له اسم، يتم تسمينه خلال فصل الصيف ببقايا طعام المائدة، والقشور، واللب، ويتم ذبحه في الخريف لصنع النقانق والشواء وقطع اللحم التي تكفيهم حتى العام الجديد.

تتعلم "إيميلي" درسًا من كل هذا؛ وهو أنه من المهم تسمية الأشياء.

***

يوم عيد الميلاد؛ مثله مثل أي يوم آخر في السنة، يعامل "إدوارد ديكنسون" أطفاله بصرامة يأمل أن تكون مصحوبة ببعض اللطف. تحت شجرة التنوب؛ التي زينوها بأكاليل الفشار، وحلقات التفاح المجففة، ورقائق الثلج المصنوعة من الورق، هناك هدية لكل طفل، ملفوفة بورق بني ومربوطة بخيط، كما لو كان ينوي إرسالها بالبريد، ثم غيّر رأيه في اللحظة الأخيرة.

يقترب الأطفال واحدًا بعد الآخر - من الأكبر إلى الأصغر - ليحصلوا على برتقالة وعصا من الحلوى، بالإضافة إلى هديتهم. تعكس الهدايا فكر الشخص الذي اختارها، "إدوارد ديكنسون"؛ الذي لا يؤمن بتدليل الأطفال، حتى الفتيات، فالمنزل ليس به سوى عدد قليل من الدمى والحيوانات المصنوعة من القماش وملىء

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بالكتب والمطبوعات.

هذا العام، كانت هدية "أوستن" عبارة عن مجموعة كتابة كاملة، متينة وجيدة الصنع، وأنيقة.. أقلام، وسكين قلم، وزجاجات حبر، وورق كتابة، ومغلفات، وورق نشاف، وطاولة مكتب جلدية. يلمس أطرافها الفضية بالطريقة نفسها التي يلمس بها الأطفال طرف حربة الجنود في العاب الأطفال.

تتقدم "إيميلي" إلى الأمام، تنحنى انحناءة احترام صغيرة. يضع الأب يده على رأسها على سبيل المباركة. تضع الأم قبلة خفيفة على جبينها بالكاد تشعر بها. يعطونها هديتها في علبة طويلة ورفيعة، تشبه الأنبوب، تختبرها بأصابعها قبل فتحها، تحرص على عدم تمزيق الورق. في الداخل، يوجد جسم أسطواني، طوله نحو 20 سم، نهاياته - أحدهما أكبر بقليل - محاطة بالذهب.

صاحت قائلة:

- تلسكوب!

يقول الأب:

- اقتربتِ من الإجابة الصحيحة.

يقترح "أوستن":

- لنرى ما هو.

في البداية، كل ما تستطيع رؤيته هو بقع ملونة لا معنى لها، ثم ترتب الألوان نفسها في أجزاء متلاصقة، مثل قطع المجوهرات الشفافة. ترى فيها شجرة الكريسماس بأكملها، ولكن على شكل قطع، ثم تنهار القطع وهي تدير الأنبوب، مما يخلق صورًا أخرى مألوفة ولا يمكن فهمها، تنعكس ثم تذوب في بعضها بعضًا، تنقلب وتنقسم، كما لو كانت قد أسقطت المنزل على الأرض وتحاول بشكل محموم لصقه معًا مرة أخرى عن طريق قلب القطع في كل اتجاه.

تبعد "إيميلي" عينيها عن الأنبوب وهي تشعر بالدوار. تحول هذه الأداة العالم الذي تعرفه وتجعله شيئًا يصعب التعرف عليه. بينما تفك "لافينيا" صندوق خياطة جميل، تقول "إيميلي" شيئًا غريبًا:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- لكن لديّ بالفعل، عديد من الكتب..

تتعجب والدتها:

- يا للسماء! "إيميلي"، إنه ليس كتابًا.

كيف يمكنها أن توضح أنه على الرغم من أنه ليس كتابًا، فهو يشبه الكتاب أيضًا؟

فقط "أوستن" يفهمها ويغمز لها. تتفاهم "إيميلي" مع شقيقها دون الحاجة إلى توضيح الأمور. الخطاب الأول الذي سيكتبه باستخدام مجموعة الأقلام الخاصة به سيكون إلى "إيميلي" – سيصفها بسيدة المنزل العزيزة - أثناء سيرها بين الغرف، تضع "الكاليدوسكوب" – الذي يغير ألوان العالم من حولها - على عينيها، وتقوم بالنظر من خلاله إلى الغرف غرفة تلو الأخرى؛ المطبخ، الصالون، غرفة الطعام، وغرفة نومها.

***

في مكتبة "إيميلي" تصطف الكتب في حالة انتباه مثل الجنود، إحداها يتحدث عن طيور، وآخر عن الأصداف. وعندما تفتح الثالث، تكتشفت النظام الشمسي بأكمله - "عطارد" و"الزهرة" و"الأرض" و"المشتري" و"زحل" و"أورانوس" – بالإضافة للأعمال الكاملة لـ"شكسبير". والكتاب المقدس الذي يحتوي على الحقيقة الكاملة.

تحتوي غرفة نومها على كل ذلك وأكثر. لم تذكر أو تدون أي شيء في دفاتر الملاحظات، التي ظلت فارغة، تنتظر كتابة كل ما لم يأتِ بعد.. الطيور والأشجار والكواكب التي تملأ رأسها، وغرفتها السرية الأخرى.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

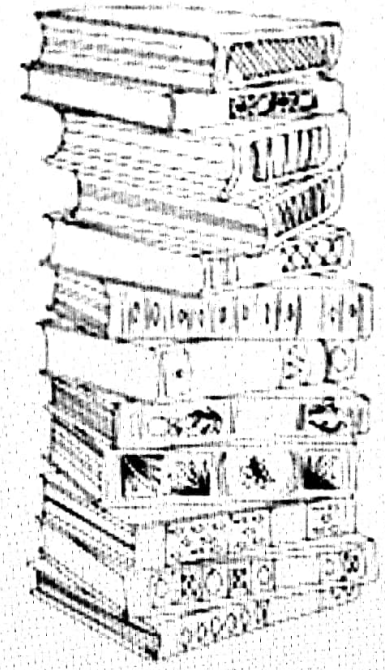

***

التحقت "إيميلي" بأكاديمية "أمهرست"، وهي مؤسسة أسسها جدها الشهير، ويتولى والدها منصب أمين صندوقها. من النادر أن يقام مشروع أو تعقد صفقة في المدينة دون مساعدة "إدوارد ديكنسون"، الذي يمتد تأثيره إلى حدود الولاية. لاحقًا، سيتم انتخابه لعضوية "الكونجرس" بالولايات المتحدة. قبل سنوات، تولى جدها عضوية مجلس الشيوخ. لذلك فمن الطبيعي أن يسير "أوستن" على خطاه، أولاً في الأكاديمية، ثم في كلية الحقوق بجامعة "هارفارد".

أما سيدات الأسرة؛ يقال إن "إيميلي نوركروس" - والدة "إيميلي" - لديها موهبة طبيعية لزراعة النباتات. كما أن تطريز "لافينيا" جميل جدًا. عندما كانت "إيميلي" طفلة صغيرة، بدا أنها ورثت موهبة والدتها وتمكنت من زراعة زهور "الأوركيد".

تم حفظ المعشبة التي جمعتها "إيميلي ديكنسون" عندما كانت مراهقة في مكتبة "هوتون" بجامعة "هارفارد"، وتم تحويلها لمادة رقمية ليتم عرضها على الإنترنت، والاحتفاظ بالنسخة الأصلية في أمان بعيدًا عن الأيدي.

في ستٍ وستين صفحة، تحتوي المعشبة الرقمية على 424 عينة من الزهور والنباتات، مرتبة بعناية جمالية، أكثر منها علمية. لا تزال بعض الإدخالات تحتفظ بلمحة من لون الزهرة الأصلية التي تم قطفها منذ قرن ونصف. يبدو أن اللون

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأصفر - على وجه الخصوص - لم يتضرر بشدة بمرور الوقت، حيث تغيّر اللون الذهبي إلى الزيتي، والأصفر الداكن تحول إلى النحاسي، لكن العين بشكل غريزي تعيد تكوين قلب الإقحوانات. أما الأوراق الخضراء فتبدو مثل اللباد، رمادية بعض الشيء، كما لو أصبحت مغطاة بالرماد بعد مرور السنوات.

عندما نقرأ الأزهار كقصة، من اليسار إلى اليمين ومن أعلى إلى أسفل، نبدأ بالياسمين، إحدى ملكات الأزهار العطرية، التي ارتبطت منذ فترة طويلة بالحب والرغبة. تقول الأسطورة إن "كليوباترا" أبحرت لمقابلة "مارك أنتوني" على متن سفينة ذات أشرعة غارقة في مستخرج الياسمين المركز. أحب الاعتقاد بأن أهمية الياسمين في معشبتها كمجرد غطاء زخرفي وجمالي، لا يمت لهذه القصة التاريخية الشهيرة بصلة، ولكن لمكانته الأخرى المتواضعة والمألوفة.. كعشبة مغمورة في الماء الساخن مع أوراق الشاي، لتضفي أزهاره نكهة رائعة على هذا المشروب.

يأتي زهر التمر حنة الشائعة في المرتبة الثانية لها، وهي أزهار بيضاء، رائحتها حلوة، مع نبتة التوت الأسود السام. يتم استخراج صبغة من ثمارها تستخدم منذ فترة طويلة لصباغة حبات المسبحة ولصنع الحبر البنفسجي الذي يقدره المستنيرين.

توجد الأوراق الخشنة الكبيرة لنبات الـ"كولنسونية الكندية" - أو بقلة الأوجاع - في وسط الصفحة. يستخدم هذا النبات العطري الذي تنبعث منه رائحة النعناع في علاج مشاكل الجهاز التنفسي. وهي أيضًا واحدة من النباتات الطبية التي استخدمها السكان الأصليين في ولاية "ماساتشوستس"، قبل قرون من صنع "إيميلي" لمعشبتها، وقبل أن يغادر الأجداد المتشددون سفنهم، لتأسيس مملكتهم الأرضية في القارة الجديدة بفترة طويلة، لعلاج من كانوا يموتون من داء "الاسقربوط" وهم يرقدون في الثلج خلال برد الشتاء القارس. هذا النبات يمكن أن ينقذ حياتك.

تم وضع بعض الياسمين أسفل اليسار، ليس بعيدًا عن باقة نبتة الغرنوقي "حدوة الحصان"، النبات الوحيد الذي تتغذى عليه الفراشة الزرقاء، وهى فراشة رقيقة بأجنحة براقة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في الصفحة الأولى من معشبتها، جمعت "إيميلي" كل ما تحتاجه الكاتبة بالفعل دون أن تدرك ذلك، أو ربما تدرك لونًا لصنع الحبر يمكن استخدامه للكتابة والرسم، ويكون مصدرًا للضوء، ووسيلة لجذب الفراشات، ويكون بلسمًا للشفاء من البرد، والزهور للشاي.

هي مثل نباتاتها، ستقضي الشتاء بين صفحات الكتاب.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

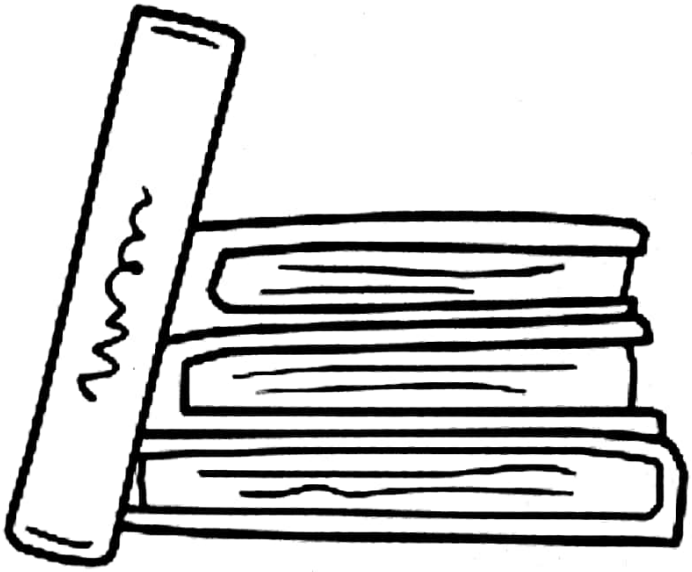

***

في الصالون، تقف "إيميلي" أمام الساعة، كلاهما طويل، ومستقيم، وانسيابي. يخفي خشب الجوز تروس الساعة الداخلية. واجهتها بيضاء، وعقاربها نحيلة تدور حول الواجهة. بندول ذهبي ثقيل يتأرجح عند ارتفاع الركبة، وقلب الساعة ينبض. ترتدي "إيميلي" اللون الأزرق، الذي لا يناسب بشرتها، لكنها لا تهتم. جميع الملابس غير مريحة، ملابسها الداخلية المصنوعة من الكتان الخشن، والدانتيل الذي يخدش رقبتها، والمخمل الناعم لدرجة تجعلها ترتجف. لو أنها تستطيع لاختارت أن تكون عارية، أو ترتدي فستانًا حريريًا بلون خشب الجوز أو الماهوجني. في سن الثالثة عشرة وبضعة أشهر، ما زالت لا تعرف كيف تقول ذلك، أو ما تشعر به، إنها ترفض بشدة أن تتعلم.

لا ترفع "إيميلي" عينيها عن يدها. إذا نظرت بعيدًا للحظة، سوف يلتهمها الوحش. الساعة الرملية مملوءة بالرمل، والساعة المائية مملوءة بالماء، والساعة تحمل في طياتها ساعات أخرى.

ستتساقط هذه الساعات كلها مرة واحدة؛ ساعات من الحمى، وساعات ضائعة في انتظار النوم، وساعات من الكوابيس، وساعات طويلة من الصمت، وساعة ولادتها ووفاتها ستتدفق في شريط طويل ليخنقها. تحبس "إيميلي" أنفاسها. يقفز

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

العقرب للأمام، وتدق الأجراس التي تصم الآذان، مثل جرس الكنيسة. أُنقذ العالم.
تخطو "إيميلي" بعيدًا، وتواصل الساعة تحديد الوقت، الذي يرفض أن يقف ساكنًا والذي ترفض "إيميلي" أن تقرأه.

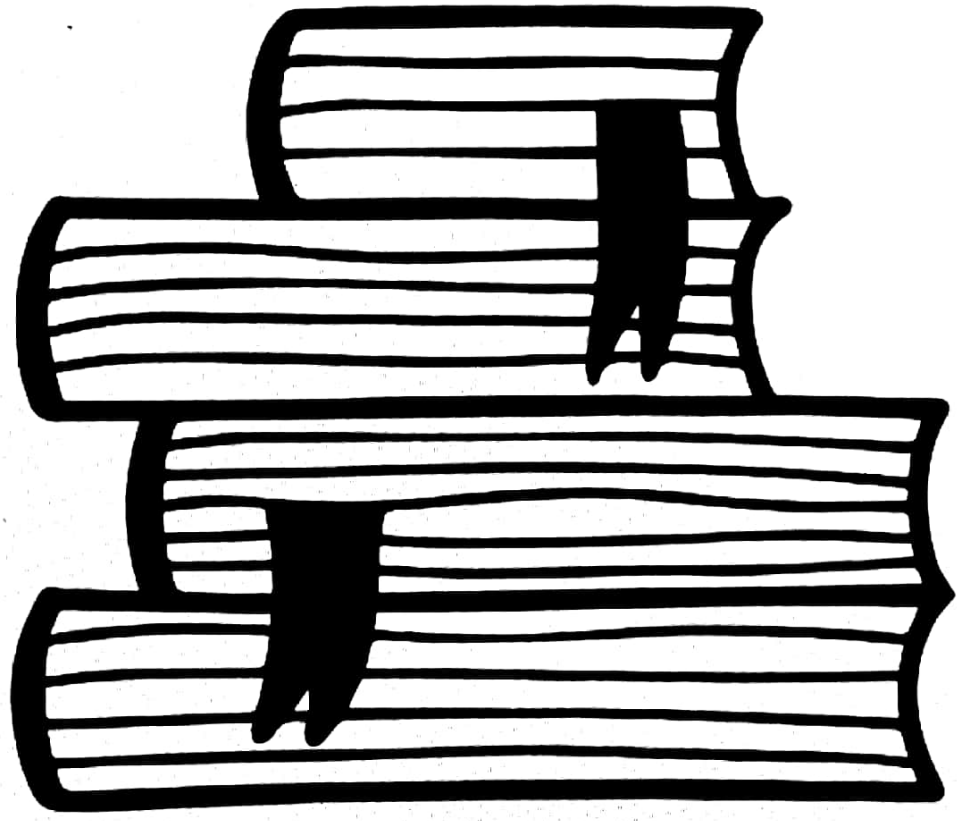

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لسنوات؛ في كل مرة نذهب فيها إلى شاطئ البحر، كنت أحضر حفنة من العقيق الأبيض والنحاسي والأصفر الداكن والزعفران، وقطعًا من زجاج البحر المزرق التي صقلتها الأمواج. بمجرد أن أعود للمنزل، أضعها على رف المكتبة في مكتبي، بين الكتب. عندما أحملهم اليوم، وكأن الساعات التي أمضيتها في المشي على الشاطئ تتبلور في ضوء الخريف، مثل تحوُّل العصارة النباتية إلى كهرمان. أمسك الساعات في راحة يدي.

***

عادت "صوفيا هولاند" - ابنة خال "إيميلي" - وصديقتها المقربة، من إجازة صيفية على شاطئ البحر. بسمرة هادئة، بشرتها الشاحبة أصبحت ذهبية، لكن خدودها تبدو غائرة، وتحت عينيها الزجاجيتين دوائر بنفسجية. بدت جميلة بشكل مذهل في ثوبها الأبيض. أخبرت "إيميلي":

- أحضرت لكِ شيئًا.

- ما هو؟

- خمّني!

تغلق "إيميلي" عينيها وتمد يدها. تضع "صوفيا" فيها شيئًا مسطحًا، أخف من الحصاة، مستدير تمامًا تقريبًا. بأطراف أصابعها، تفحص "إيميلي" ملمسه: خشن بعض الشيء، مثل زهرة المخملية الرطبة عندما تتيبس شيئًا في شيء أثناء تجفيفها، والسطح، مستدير قليلًا على جانب واحد، ومحفور بشكل غير محسوس تقريبًا. تقول "إيميلي" وهي تفتح عينيها:

- لا أعرف.

- إنه حيوان القنفذ المعروف باسم الـ"دولار رملي".

على الجانب المستدير، ترى "إيميلي" زهرة بخمس ورقات، أو نجمة منحوتة في أملاح كربونات الكالسيوم:

- هل هي صدفة؟

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- قنفذ البحر. قنفذ منمق بلا أشواك.

- هل هو حي؟

تضغط "إيميلي" بأذنها على السطح للاستماع إلى دقات قلب:

- أنا لا أعتقد ذلك. ربما.

- لدي شيء لكِ أيضًا.

تهمس "إيميلي"، تسحب من جيبها بطاقة صغيرة مطوية إلى نصفين، وقد ألصقت عليها أثمن ما تملكه.. زهرة برسيم بأربع أوراق.

- يُعتقد أنها تجلب الحظ السعيد.

أومأت "صوفيا" برأسها بجدية.

في تلك الليلة، تلمس أصابع "إيميلي" الدولار الرملي تحت وسادتها. تغفو وهي تحلم بالأرض التي يتم استخدامه فيها كعملة، بالعجائب التي يمكن أن تحصل عليها؛ نداء الطائر المحاكي، أول نزول للثلج، محبرة بلا قاع، أيام تُضاف إلى حياتك.

***

فتح الأخ والأخت الخرائط أمامهما؛ يقلبان الصفحات، يعبران الأنهار، ويقفزان عبر الحدود. هذا هو النوع الوحيد من السفر الذي تحلم به "إيميلي". تُظهر بعض الخرائط دولًا غير مألوفة، بينما في أقسام أخرى من الخريطة، ترى أسماء مألوفة.

أوضح "أوستن":

- كما ترين، للانتقال من "أمهرست" إلى "بوسطن"، عليكِ المرور عبر "سبرينجفيلد" و"ليستر" و"وستر" و"ليندن" و"والثام".

تتبع "إيميلي" بإصبعها سلسلة الولايات والمدن على الخريطة، وتذكر أسماءها بصوت عالٍ. قال "أوستن" مشيرًا إلى "ليندن":

- ما عدا هذه، فهي غير موجودة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تنظر إليه "إيميلي" في حيرة وتقول:

- لكن الاسم مطبوع بشكل الخطوط الأخرى نفسها، والخرائط لا تكذب.

يوضح "أوستن" أنها موجودة فقط على الخريطة:

- أنا متأكد لأنني قمت بالرحلة عشرين مرة. كل ما يوجد هناك امتداد من الغابات وحقول الذرة، ولا يوجد حتى كوخ واحد.

تسأل "إيميلي":

- كيف ذلك؟

- إنها مدينة ورقية. اخترعها الأشخاص الذين رسموا الخريطة للتأكد من عدم قيام أحد بسرقة عملهم.

تقول "إيميلي":

- سرقة بلدة؟ يا لها من فكرة غريبة!

يصحح لها "أوستن":

- ليس سرقة البلدة، ولكن اسمها ومخططها. إذا اكتشف صانعو هذه الخريطة وجود بلدة "ليندن" على خريطة أخرى، فسيعرفون أن عملهم قد تم نسخه.

تكرر "إيميلي":

- مدينة ورقية!

***

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في غرفة نومها يوجد سرير، وخزانة بأدراج، وطاولة صغيرة، وكرسي، وكتب مكدسة في كل مكان. تحتوي الكتب على كل دول العالم، كل النجوم في السماء، الزهور، الأشجار، الطيور، العناكب، والفطر. جموع وفيرة، منها الحقيقي ومنها ما اخترعته.

يوجد داخل الكتب كتب أخرى، مثل بيت المرايا، حيث تعكس كل مرآة أخرى، وتصغر في كل انعكاس، حتى يصبح الناس في حجم الفئران. يحتوي كل كتاب على مائة كتاب. إنها أبواب تُفتح ولا تُغلق أبدًا.

تعيش "إيميلي" وسط مائة ألف كتاب، ودائمًا ما تحتاج إلى سترة صوفية تناسبها.

***

داخل صفحات الكتاب المقدس - بأوراقه المصفرة - اكتظت جميع المدن من الماضي والحاضر.. "القدس" و"بيت لحم" و"شبا" و"قانا" و"سدوم" و"عمورة" و"كفرناحوم" و"أريحا" و"بابل". في كل مرة تفتح فيها الكتاب المقدس، تتوقع "إيميلي" أن تتدفق كل هذه المدن وشعوبها، كما هو الحال في كتب الأطفال ذات الاشكال المقصوصة التي تظهر في طيات معقدة بمجرد فتح الصفحة لتشكل كوخًا أو قلعة، أو غابة ورقية.

***

تتدفق الأشعة الذهبية، مثل العسل من خلال النافذة. تشعر "إيميلي" وكأنها نحلة عالقة في العسل، في كثافة ضوء ما بعد الظهيرة. يقوم الجميع بأعمالهم في منزل "ديكنسون"؛ يستعد الأب للقاء مع عميل مهم، الأم مشغولة بصداعها النصفي، يراجع "أوستن" درس قواعد النحو، تقوم "لافينيا" بتطريز وسادة، بينما القطة ترقد في حضنها، و"إيميلي" في غرفة نومها، تكتب رسالة إلى شخص لم يظهر بعد. لو أن لديها الموهبة الكافية، فسيظهر هذا الشخص في النهاية.

الكلمات مخلوقات هشة لا يجب لصقها على الورق. ترفرف حول غرفة النوم، مثل الفراشات، أو مثل العثة التي هربت من الصوف، فراشات تفتقر إلى اللون وروح المغامرة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في ذلك المساء، تقرأ "إيميلي" في كتاب كتبه رجل فرنسي، قصة يهودي عاش مائة حياة. ما الهدف من مائة حياة لم يكن حزًا فيها ولو لمرة واحدة؟

***

"ديكنسون"، ابن "ديك"، "ريتشارد قلب الأسد". كل أبناء "جيمس"، أبناء "نثنايال"، "آرثر"، "توماس"، و"ماثيو". كل أبناء "جون"، "ويليامز"، "بيترز"، أبناء "جوزيف"، أبناء "ألبرت"، "فرنسيس"، "صامويل"، سلالة ذكورية طويلة انتهت بها، وهي تضمهم جميعًا.

أين كلمة "ابنة" هنا؟ هل هي قليلة الأهمية لدرجة أنه لا جدوى من تسميتها؟ "إيميلي قلب التفاح".

***

على الجانب الآخر من النافذة، يأتي الخريف. خريف. خريف صيفي، يدور في دوامات، بسرعة أشبه بسرعة مروحة طائرة "الهليكوبتر". قبل أن يهبط بعيدًا، في مكان ما على الجانب الآخر من الكوكب. تتلون الأوراق في الحديقة بالأخضر مثل السبانخ، مغطاة بغطاء رمادي تركته عليها حرارة الصيف، تشبه المسحوق الذي يكسو بعض أنواع الفطر. يستعد الصيف لتحويل الرمان إلى الأحمر، والليمون إلى الأصفر، والبرتقالي، بينما في المناطق الاستوائية حيث تنمو هذه الفاكهة الرائعة، يستمر الصيف طوال العام. تتحول أوراق الفراولة إلى اللون الوردي، ويحمل الخريف بالفعل الربيع.

***

وضعوا الجسد على طاولة غرفة الطعام الخاصة بعائلة "هولاند". لديها ملامح "صوفيا"، لكن وجهها أشبه بالقناع الشمعي. تقترب "إيميلي" على رؤوس أصابعها، كما لو كانت تتجنب إيقاظ طفل نائم.

كانت "صوفيا" ترتدي أجمل فستان لديها، لونه وردي، بأكمام وياقة من الدانتيل، وحذاء طويل مصنوع من الجلد اللامع. لديها شريطة في شعرها المموج بعناية. تتخيل "إيميلي" السيدة "هولاند" وهي تصفف شعر ابنتها كما لو كانت دمية.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يقول الناس بعض الكلمات المجردة من المعنى: "التيفوس، الرحمة، الإرادة الإلهية".

لا تبدو "صوفيا" هادئة أو مرتاحة أو نائمة، "صوفيا" ببساطة ليست هنا. استبدلوا غيابها بها. تقترب "إيميلي" مرة أخرى، قريبة بما يكفي للمسها. تظهر درجات اللون الأزرق المخضر على الجلد الأبيض، والذي يشبه سطح دهن الخنزير الذي تم تركه لفترة طويلة جدًا في حرارة الصيف.

تنظر "إيميلي" من فوق كتفها، لا أحد يراقبها، تضع يدها في جيب مريولها، وتخرج الدولار الرملي الذي قدمته لها "صوفيا" في العام الماضي، وتضعه في جيب الفستان الوردي، على أمل أن يكون ذلك كافيًا.

لا تبكِ، تشد قبضتيها في جيوبها الفارغة فقط، حتى لم تعد تشعر بأصابعها. ولكن في المساء، عندما يُحضرون لحم الخنزير الذي يتلألأ بالدهن تحت وهج المصباح إلى المائدة، تتقيأ "إيميلي".

***

الطريق من المنزل إلى المدرسة ليس طويلًا، لكن بالنسبة لـ"إيميلي" يبدو وكأنها عبرت قارات ومحيطات. تضرب حوافر الخيول الأرض بالإيقاع نفسه لعقرب الثواني النحيف لساعة الجد. يقود الأب العربة في صمت. تشعر "إيميلي" بعاطفة لا تعرفها، مزيج من الخوف ونفاد الصبر، كما لو أن النمل يزحف لأعلى وأسفل ساقيها، والفراشات ترفرف في بطنها. لا تنزعج من ذلك؛ فهم شركاؤها في الرحلة.

معهد "ماونت هوليوك للبنات"، هو مبنى هندسي كبير، أربعة طوابق من النوافذ المصفوفة بدقة شديدة، أربعة أدوار عالية، وست عشرة نافذة واسعة. تعتقد "إيميلي" أن الطابق العلوي قد يكون مكان نوم الطلاب والمعلمين. توجد سبع مداخن على السطح.

- تبدو مثل شموع عيد الميلاد، أليس كذلك يا أبي؟

- همم؟

- المداخن؟

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ينظر إليها للحظة ثم يعود بنظره إلى هذه الطفلة الفضولية التي لا تقول أبدًا ما هو متوقع منها. تتابع "إيميلي":

- لا، في الواقع، إنها تبدو أشبه بمداخن لعابرة محيطات ضخمة، توقفت هنا، في وسط الحقول.

يقول الأب وهو يوقف الخيول:

- إنها تبدو وكأنها تطمئنا بأنكِ لن تتجمدين في الشتاء.

ينزلان من العربة، ويُنزل "إدوارد" الصندوق الكبير المحشو بفساتين "إيميلي"، والشيلان، والتنورات، والأحذية، والكتب، و"الكاليدوسكوب". تأتي السيدة "ليون" لتحييهما. لديها تجاعيد عميقة على وجهها المتعب، وابتسامة مرحبة، وعينان تتألقان بالذكاء. تخاطب "إيميلي" أولًا، قبل أن تحيي والدها:

- مرحبًا يا "إيميلي".

تستجيب "إيميلي" بتحية قصيرة، يتجه والدها نحو الباب، تاركًا الصندوق خلفه ليحمله شخص ما لاحقًا. لكن السيدة "ليون" تمسك بالمقبض الجلدي المتصل بطرف الصندوق، وتبدأ في جره دون كثير من اللغط. تراها "إيميلي"، وتندفع للإمساك بالمقبض الآخر. تمكنتا فيما بينهما من رفع الصندوق بضع بوصات عن الأرض.

- ما هذا بحق السماء؟

يصيح "إدوارد" منزعجًا، بعد أن استدار أخيرًا ورأى ما يفعلانه.

يتردد للحظة، وهو لا يدري ما إذا كان من المناسب تخفيف الحمل عن البنت أم المديرة أولًا. يختار المديرة التي تترك المقبض بسعادة، وتشير إلى "إيميلي" أن تفعل الشيء نفسه.

- أعتقد أنني ذكرت لك يا سيد "ديكنسون"، أننا لا نوظف أشخاصًا للمساعدة، يتم تقسيم الأعمال الروتينية بالتساوي بين الطلاب والمعلمين. هذا يساعد في تعليم الطلاب وتدريب المعلمين.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لكن "إيميلي" العنيدة ترفض ترك الصندوق، الذي ينتهي به الأمر بحمله مع والدها إلى مدخل المدرسة، حيث أتى مدرسان للمساعدة. على مر السنين، علمها والدها كثيرًا من الأشياء المهمة، وألقى عليها محاضرات ووجهها وعلمها، لكن هذه هي المرة الأولى التي يفعلان فيها شيئًا معًا.

يغادر الأب بسرعة وهو يضع يده على ظهره الذي يؤلمه. من كان يظن أن الملابس يمكن أن تكون ثقيلة هكذا؟

***

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كانت أول شقة استأجرناها في "بوسطن"، عندما افتتحت شركة زوجي مكتبًا في المدينة بعد بضعة أشهر من ولادة ابنتنا، في شارع "هوليوك". بدا الاسم غريبًا في ذلك الوقت، كل شيء كان غريبًا، لكنني لم أستفسر عن مصدر الاسم أو ما قد يعنيه.

كنا نعيش في "ساوث إند"، وهو أكبر حي فيكتوري خارج المملكة المتحدة، ونسكن في الطابقين الثاني والثالث من أحد المنازل المرتفعة المبنية من الطوب الأحمر مثل معظم مباني المدينة. من الشارع، كانت النوافذ الزجاجية الكبيرة التي تبرز من جدار المبنى تتلألأ مثل الجليد تحت شمس الشتاء. في جميع أنحاء الحي، كانت الأرصفة مصنوعة من الطوب الأحمر نفسه، شُوهت على مر السنين بفعل الصقيع وجذور الأشجار، وتموجت كما لو كانت تحت تأثير الأمواج الجوفية. جاء الطوب مباشرة من عنابر السفن التي رست في المدينة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، لقد تم استخدامه كأثقال للسفن، ومثلنا، عبروا نصف الكرة الأرضية قبل أن ترسو هنا في هذه المدينة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

للخروج من المنزل، كان علينا النزول ثلاثة أدوار من السلالم، بالإضافة إلى السلم الخارجي المعلق في الهواء الطلق، شديد الانحدار مثل سلم السفينة، وغالبًا ما يكون مغطى بالجليد. مجرد الذهاب إلى المطبخ (كانت غرف النوم في الطابق السفلي) يتطلب جهدًا كنت مترددة للقيام به؛ كنت خائفة من إسقاط ابنتي من على السلم. لدي القليل من الذكريات الحية عن وقتنا هناك، لا بد وأنني قضيت أسابيع في الطابق الثاني، أشاهد الثلج يتساقط خارج نافذتي، وطفلتي الصغيرة بين ذراعي.

لم يكن يحدث الكثير في شارع "هوليوك". يقوم الناس بتمشية كلابهم على الأرصفة المموجة في الصباح والمساء. تنمو الظلال لفترة أطول في نهاية اليوم، وتضوي أضواء المنازل في الشارع. بعد ظهر أحد الأيام، وعلى الأغصان العارية لشجرة قريبة، رأيت عشًا مصنوعًا من الأغصان وقطعًا طويلة من الخيوط الزرقاء. لقد حل الربيع.

***

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ماذا تعني كلمة "هوليوك"؟ لم يكن لدي أدنى فكرة ولا القوة للقيام بالبحث. بالمقاربة، فكرت في أنها تأتى من كلمة "Yoke" والتي تعنى صفار البيض، الذي تخيلته نيئًا، مما جعلني أشعر بالغثيان في معدتي. أما "بوسطن" فهي مدينة "بوطولف" – وهو قديس ورحالة إنجليزي عاش في القرن السابع - لم أحلم بالسفر قط، لطالما سعيت إلى عكس ذلك.. أن أجد جذوري، وأشعر أخيرًا بأنني في مكان ما خاص بي. على الرغم من أنه لم يكن لدينا أي نية لبيع المنزل الذي تركناه في "أوترمن - مونتريال"، لكن بمجرد أن خرجنا من الباب وأدرنا المفتاح، شعرت أنه لم يعد ملكنا. وهذه الشقة أيضًا لن تكون بيتنا أبدًا. لم يكن لدينا بيت.

في اليوم الأول لنا، وصلنا في وقت متأخر من بعد الظهر، بعد رحلة طويلة بالسيارة. وضعنا حقائبنا في الشقة المظلمة، ونزلنا مباشرة لشراء البقالة من محل "تريدر جوز". كانت ابنتي منهكة وسريعة الانفعال، ولم أكن أفضل منها حالًا. كانت إضاءة المتجر من الفلورسنت الساطع. دفعت عربتنا عبر الممرات التي لا نهاية لها، بينما كانت رفوف المتجر فارغة باستثناء وعاء من الحمص. كنت أرغب في الجلوس في مكان ما، في أي مكان، مع طفلتي، لتناول وجبة ساخنة. شعرت وكأنني سأصاب بالإغماء. قلت بعبوس:

- لا يوجد شيء لنأكله هنا.

ثم انفجرت في البكاء في منتصف محل البقالة المكتظ.

قبل أسابيع قليلة، سألني أحدهم:

- لماذا لا تريدين مغادرة منزلك في "مونتريال"؟ ما أكثر شيء تعتقدين أنك ستفتقدينه؟!

اعتقدت أن الهدف من السؤال، بمجرد تحديد هذه الأشياء، هو إيجاد طريقة لنأخذها معنا، أو استبدالها، أو إعادة إنشائها، أو العثور على معادل أو بديل لها حتى لا نفتقده. فكرت كثيرًا قبل أن أقول:

- الشجرة التي أراها من نافذة مكتبي.

***

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في المدرسة؛ تدرس "إيميلي" وزملاؤها اللغة اللاتينية، وعلم النباتات، وعلم الفلك، والتاريخ، وعلم المعادن، والأدب، والرياضيات. قد ينسى المرء تقريبًا أنهن بنات صغيرات.

***

تتحدث الكتب عن الأشياء، ومن صفحات المجلدات كبيرة الحجم المغبرة التي حملتها الأجيال السابقة بين أيديهم، يتعلم الطلاب معلومات عن الصخور والنجوم والحشرات.

لكن بالنسبة لـ"إيميلي"، ليس فقط الكتب هي التي تتحدث عن الأشياء، بل الأشياء أيضًا تتحدث عن الكتب.

ذات صباح، بينما كانت تتأمل الغابة، رأت فروع شجرة تتحرك. في البداية كانت الحركة خفيفة، حفيفًا بسيطًا للأوراق قد يكون بسبب الرياح، لكنها سرعان ما تأكدت، الشجرة تتحرك. تذكرت غابة "بيرنام وود" الرائعة التي حلم بها "شكسبير" في مسرحية "ماكبث"، والجيش يتخفى بأوراق الشجر والفروع، ويبدأ في السير تجاه "دنسينان"، صوت قعقعة الدروع. لكن هذا ليس ما تراه "إيميلي".

في الفصل الدراسي هذا الأسبوع، نظروا إلى صور مستنقعات المنجروف. يطلق على أشجار المنجروف - ذات الجذور الطويلة التي تخرج من الماء مثل أصابع اليدين والقدمين – "الأشجار السائرة". ما تراه هو جيش من أشجار القيقب، والصنوبر، والرماد، والبلوط يخرج جذوَره ببطء من داخل التربة وتنتشر على الأرض، يشعر بصلابتها، وتتنفس الهواء، ثم تحركها قليلًا إلى الجانب وإلى الأمام، مثل شخص مصاب في ساقه يتعلم السير مرة أخرى.

حاولت الفروع عمل القليل من التوازن، وتنحني الجذوع للخلف قليلًا، وترتفع الجذور عن الأرض، ليس عاليًا، لكن بمزيد من الثقة. تطير الطيور من أعشاشها، والسناجب تقفز على الأرض. تبدو المخلوقات محمومة، وهذه الحركة الصامتة مصحوبة بصخب مكتوم يمكن سماعه على بعد أميال. الغابة تجري، في هذه اللحظة بالذات، يبدو أنها تتقدم مثل موجة ضخمة، وصخب لا يتوقف. لن تقضي على معسكر العدو فحسب، بل ستقضي أيضًا على المنطقة بأكملها، جبل

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

"هوليوك"، حيث تقف "إيميلي"، مغمضة العينين عند نافذتها، منتظرة أن تجرفها الموجة بعيدًا.

لكن لا يوجد شيء يستحق الهجوم عليه هنا، ولا شيء يمكن غزوه أو محاصرته، باستثناء مجموعة من الإوز الصغير، التي هي واحدة منهن. كم سعر الإوزة في السوق؟ لا يمكن أن يكون كثيرًا. ومع ذلك، تحركت الشجرة، وهي متأكدة من ذلك. يقف "ماكبث" إلى جانبها غير متأكدة، لكن أبطال "شكسبير" غالبًا ما يكونون كثيري الشك أو يتخذون المشورة الخاطئة. أي جيش يمكن أن ينقض على المدرسة اللاهوتية في صباح شهر أبريل؟ تتحرك الشجرة مرة أخرى. هذه المرة تبدأ حقًا في السير. إنها مجرد غزالة بقرون، ربما عمرها سنتان، تظهر قرونها عالية على رأسها، مثل تاج من شجرة بلوط كبيرة.

***

تهتم السيدة "ليون" بما هو أكثر من مجرد ملء أذهان تلميذاتها بالمعلومات، إنها تريد أيضًا أن تنقذ أرواحهن، وتقوي إيمانهن بالرب مثلها. لكنها ترفض ترهيبهن، أو تهديدهن لتحقيق هدفها. لن تقنعهن بأن يسكنَّ ملكوت الرب بتخويفهن بالجحيم. هؤلاء الفتيات مخلوقات عاقلة ومتعلمة. سوف تخاطب عقولهن وتحترم إرادتهن الحرة، وتتركهن أحرارًا ليقلن نعم.

تسأل بصوتها الحازم اللطيف:

- من منكن قد آمنت بالرب بالفعل في حياتها وقلبها؟

تملك السيدة "ليون" وجهًا واضحًا وصريحًا ونظرة مطمئنة، مثل أولئك الذين يقف الرب بجانبهم، تعيش أرواحهم في سلام، مهتدين باليقين. ترفع معظم الفتيات أيديهن، بعضهن يرتجفن، والبعض الآخر يفخرن. تتفحص عيناها الغرفة.

- من منكن تأمل أن تفعل ذلك؟

معظم الفتيات المتبقيات رفعن أيديهن. تنتظر السيدة "ليون" للحظة، ثم تسأل أخيرًا:

- من منكن بلا أمل في الإيمان بالرب؟

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ترفع ست أو سبع فتيات أيديهن، و"إيميلي" واحدة منهن.

***

ما هذا الرب المكون من ثلاثة أجزاء؟ - الأب المخيف، والابن القربان، والروح القدس الغامض - لماذا يرفض أن نعرف من هو؟ لماذا يقدم نعمته للبعض دون الآخرين؟ كيف يحبه المرء كما ينبغي أن يحبه؟ هل نتظاهر بالحب؟ وهو الذي يرى كل شيء، ألن يعرف أننا نتظاهر؟ أليست هذه كذبة أسوأ من ملاحظة أن الرب غامض، وصامت لا يتكلم، في حين أن "إيميلي" تفهم العالم من خلال الكلمات؟

الرب يفوق ذلك. إنه يفوق الكلمات. لا يختبئ في الكنائس. لا جدوى من البحث عنه في الصفحات المصفرة للكتاب المقدس طبعة الملك جيمس المقدس، الذي لا تقل عدد النسخ التي تملكها عائلة "ديكنسون" عن ثماني نسخ، حيث إن عدد هذه الكتب أكثر من عدد النفوس التي تحتاج للخلاص. عندما تنظر "إيميلي" إلى السماء، لا ترى سوى السحب، إذا كانت السماء مسكنًا للصالحين، فهل هذا يعني أنهم يتحولون إلى طيور؟

***

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في الشتاء، تغرب الشمس مبكرًا في جبل "هوليوك". تأكل الفتيات عشاءهن على ضوء المصباح، بينما تغرق الحقول في الظلام. تتمثل مهمة "إيميلي" في وضع أدوات المائدة على الطاولات، وهي تعمل بجد واجتهاد، كما هي عادتها. إنها تستمتع بالمهام المتكررة التي لا طائل من ورائها. كل سكين، وكل شوكة، هو الرثاء الذي يبقيها على الأرض.

تلمع الأطباق البيضاء في ضوء المصباح؛ الليل أزرق داكن بالخارج، والثلج يتساقط على شكل رقائق دهنية، مثل فرو الأرانب. تتناول الفتيات أطباقًا كبيرة من الكرنب والبطاطس وقطع شحم الخنزير، واللفت وشرائح الجزر، وهي الوجبات المعتادة للأسبوع. يثرثرن وهن يأكلن، ويتم تشجيعهن على مناقشة الأفكار على مائدة الطعام.

ثم يتولى أولئك اللاتي مهمتهن تنظيف الطاولة إزالة الأطباق، بينما تصعد الأخريات إلى الغرف المشتركة. يراجعن دروسهن لليوم التالي قبل ارتداء قمصان النوم.

يختبرنَّ بعضهن بعضًا، تسأل "آنا":

- ماذا تسمى مجموعة من الدجاج البري؟

تقول "إيزابيل":

- إنها زمرة.

- مجموعة من طيور الزرزور؟

- فرقة.

- من طيور النحام؟

- تشكيل من طيور النحام.

- من البوم؟

ترددت "إيزابيل". أجابت "إيميلي" دون رفع عينيها عن كتابها:

- عصبة من البوم.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- أحسنت. إليك شيء أصعب. ما هي مجموعة طيور القبرات؟

- جماعة.

- والفراشات؟

- مشهد من الفراشات.

كانت تراقبهن، بخصرهن النحيف، وثيابهن البيضاء، وشعرهن المشدود إلى الخلف، إنهن غير متشابهات، ومع ذلك متشابهات بشكل غريب في صغر سنهن. وماذا تسمون مجموعة من الطالبات في ليلة شتاء؟ كل هذا في آنٍ واحد، بالطبع.. جماعة، عصبة، مجموعة، مشهد، فرقة.

***

الفتيات يستيقظن ويقفزن من الفراش. يقمن بتمشيط شعرهن بمائة تمريرة من الفرشاة، تمامًا كما فعلن قبل النوم. يرتدين ملابسهن بسرعة، ويخترن أكثر الثياب بياضًا وأجمل شرائط الشعر. ستستقبل المدرسة الدينية اليوم مؤلفًا مشهورًا لمجموعة من القصائد، والتي تدور حول المجد والواجب والروح. كثيرات منهن لم يرون مؤلفًا من قبل في الحقيقة. والشعراء بالنسبة لهن مجرد تماثيل حجرية. لا يمكن أن تكون التلميذات أكثر حماسًا إلا إذا عاد أحد هذه التماثيل فجأة إلى الحياة.

عندما يدخل الشاعر إلى الفصل، يبدوَ أن شعره يتبعه في الدخول، بدا وكأنه يواجه ريحًا غير مرئية، ويستمر في التحقق من شكل شعره الذي بدا غير مصفف من خلال تمرير أصابعه فيه. رجل وسيم، بجبهة عالية، وعينين داكنتين تحت حواجب مقوسة، وأنف معقوف، وشفتين رفيعتين، كما ينبغي لأصحاب الأفكار النبيلة أن يبدون. يقوم بالكثير من الإيماءات عندما يتحدث، وبعضها غير ضروري بالمرة.

ينظر لمجموعة صغيرة من طالبات المدارس المجتمعات أمامه، فتيات صغيرات طويلات القامة، مرتبكات بعض الشيء، مرعوبات من وجوده - وهو أمر طبيعي بالطبع – يحركن أصابعهن في توتر، ويتلوين في ثيابهن البيضاء. إنهنَ جميلات

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولكن يمكن استبدالهن، أما هو فشخص فريد.

من زاوية عينه، يرى انعكاس صورته في النافذة، ويبدأ في التحدث كأنه يتحدث إلى توأمه الشفاف، المنعكس على هذا الزجاج. صوته واضح وعميق ومرتفع بعض الشيء، كما لو أنه يقف على منصة يحاول أن يسمعه المتفرجون في الصف الخلفي في قاعة كبيرة.

تتنهد "إيميلي". تنظر إلى النافذة من زاوية عينها هي أيضًا، لكنها لا تبحث عن انعكاس صورتها، بل تبحث عن عش بين الأغصان تستريح فيه ثلاث بيضات زرقاء.

تعلم أن هذا هو المكان الذي يوجد فيه الشعر، أكثر من الكلمات المتغطرسة لهذا الرجل. الشعر مخفي تحت القشرة الرقيقة، في القلب الصغير لمخلوقات لم تولد بعد. ومع ذلك؛ عندما تنظر إلى الشاعر الوسيم كطاووس، لا يسعها إلا أن ترتجف قليلًا.

***

في الغرفة المشتركة؛ الفتيات اللواتي يرتدين قمصان النوم البيضاء، الشاحبات مثل الأشباح، يتحدثن عما سيفعلنه عندما يكبرن:

- سوف أتزوج طبيبًا في المدينة.

- سيكون لدي ثلاثة أطفال.. ولدان وبنت.

- سأعيش في منزل أبيض كبير نوافذه سوداء.

- سأقرأ كتابًا واحدًا في الأسبوع.

- سأستلقي طوال اليوم وأتناول البسكويت وأشرب شايًا بالليمون.

- سيكون لدي حديقة لا تنمو فيها إلا الورود.

- سوف أعبر البحر على متن عابرة محيطات.

- سأعزف على الكمان والبيانو والقيثارة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عندما حان دور "إيميلي"، نظرت الفتيات إليها. تبدو أكثر شحوبًا من الأخريات بشعرها الأسود، شبه شفافة، كما لو أنها ستطير أو ستشتعل فيها النيران، قالت:

- سأعيش في شجرة الزيزفون .

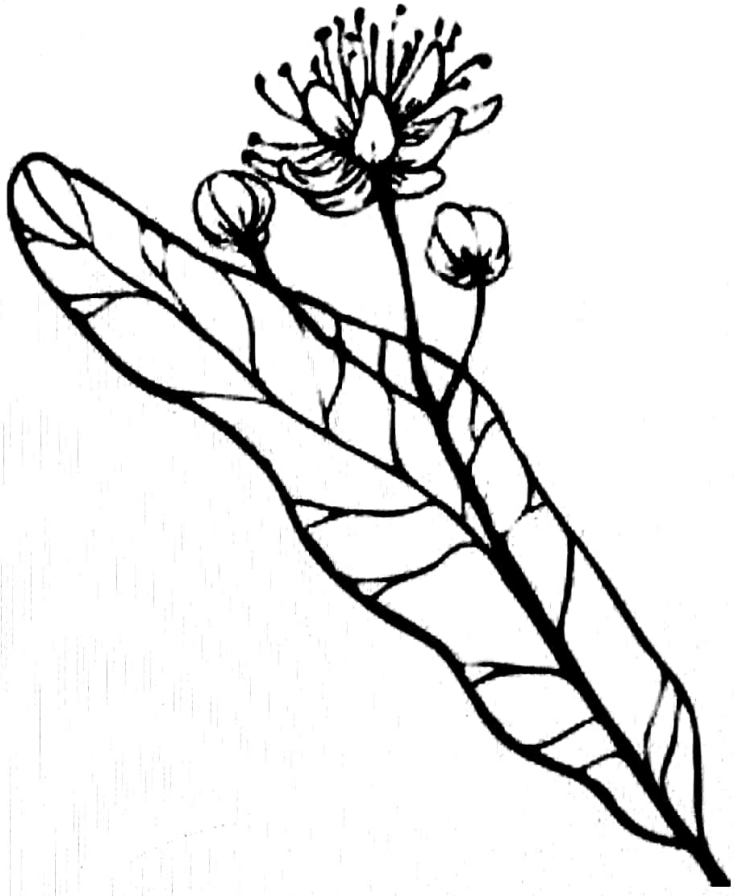

في نهاية الفصل الدراسي؛ تستطلع السيدة "ليون" النفوس مرة أخرى. بدت ملامح الفتيات متعبة من أمسيات الدراسة الطويلة، متحمسات لقرب عيد الميلاد. تخيم عليهن هستيريا محسوسة في الهواء؛ توترات الامتحانات النهائية، التي تفوح منها رائحة الفانيليا والصوف الرطب والحبر الطازج.

- كل من تقبلن يسوع في قلوبهن يمكنهن الجلوس.

جلست عشرات الفتيات على المقاعد الطويلة.

- من يأملن في تقبله في قلوبهن يمكنهن الجلوس.

موجة ثانية. ترددت "إيزابيل" بجانب صديقتها. نظرت إليها نظرة متوسلة، تناشدها أن تنضم إليها، أو ألا تغضب منها. لكن "إيميلي" لا تدير رأسها أو عينيها. تجلس "إيزابيل" في النهاية، بسرعة وبطريقة جافة، وظلت "إيميلي ديكنسون"

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تقف بمفردها. كمن لا أمل له.

تود أن تشعر بالأب السماوي بالحماسة نفسها التي تملأ قلبها عندما ترى الأوز الكندى يحلق عاليًا. تعلو أصواتهن، ويتخذ سربهن شكل V الذي يشبه الأمواج في المحيط. لكن معظم الخطب الدينية لا تهمها، فكرة الرب نفسها تشعرها بالاضطهاد أحيانًا، وترعبها في أحيان أخرى. قلبها ليس كبيرًا بما يكفي، وعقلها الصغير ليس عميقًا بما يكفي لاستيعاب هذا اللغز، وينتهي بها الأمر بإخبار نفسها بأن الرب ربما لا يثق بها كثيرًا أيضًا.

تصطف أمام "إيميلي" صفوف من الرؤوس الناعمة والمصففة بدقة، تتزين بالشعر المموج بالشرائط، والربطات. ستزدحم السماء بهن، سوف يدوسن على أصابع بعضهن بعضًا بأحذيتهن العالية المصنوعة من الجلد اللامع. تفتقر "إيميلي" إلى الأمل أو اليقين أو الإيمان، وتظل واقفة بشكل مستقيم، تمتلئ بالاحتمالات.

الجحيم! نعم، من المرجح أن الجحيم سيكون أكثر سلامًا.

***

انتهى الخريف، وسيحل عيد الميلاد قريبًا، وما زلت لم أقم بالرحلة إلى "هومستيد". عدت إلى منزلنا على الشاطئ بدلًا من ذلك. في كل مرة نمر فيها من الباب، يصيبني الذهول من أن المنزل لا يزال موجودًا في مكانه. في يوم من الأيام سوف تجرفه الأمواج. هذا ما حدث تقريبًا للفندق الصغير، الذي كان مجاورًا لمنزلنا منذ بداية القرن الماضي. فمنذ أربعين عامًا، وأثناء عاصفة شديدة، تسببت الرياح والأمواج في الكثير من الضرر للمبنى حتى أصبح هدمه أمرًا لا بد منه.

لم يسمحوا لأي شخص بالبناء على قطعة الأرض منذ ذلك الحين. يقول الناس إنه خلال هذه العاصفة نفسها، رفع البحر منزل أحد الجيران وحمله على بعد عشرات الأمتار. كانت قطع الأخشاب المستخدمة في بناء السور البحري مفككة وتطفو في الشوارع مثل بقايا سفينة غارقة. تعجبني فكرة أننا نقضي نصف العام نعيش على قارب، يمكن أن يتحرر من مرساة وينجرف في أي لحظة.

في كل مرة نذهب إلى هناك، يذهلني كم أن السماء تبدو أكبر وأكثر إشراقًا من السماء في المدينة، لا شك أن القرب من المحيط هو السبب. في كل مرة نرحل

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فيها ينكسر قلبي، وكذلك ابنتي؛ إنها لا تفهم لماذا لا نعيش هناك طوال العام، بينما تبقى أصابع أقدامنا في الماء، بالقرب من قلعة رملية؟!

كل صباح خلال هذا الوقت، أزور "إيميلي" في منزل "هومستيد" الذي تخيلته من الصور الموجودة في الكتب ووصف الشهود والمؤرخين. أدخل على أطراف أصابعي حتى لا أمزق الأرضيات الورقية ولا أجرؤ على الجلوس. أترك الباب مفتوحًا قليلًا عندما أرحل.

***

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تعود "إيميلي" إلى "هومستيد" بعد أقل من عام من مغادرتها للمدرسة. والداها قلقان بشأن صحتها؛ لم تكن قادرة على التخلص من عدوى الجهاز التنفسي التي أصابتها. إنها سعيدة بالعودة إلى المنزل. هناك الكثير لتفعله الفتاة في "أمهرست"؛ تصفيف شعرها، والقيام بفك بكرات الصوف وتنعيمه، عمل الخبز، وجمع البيض من حظيرة الدجاج، خفق البيض من أجل الإفطار. وحسب أي يوم في الأسبوع، يمكن زيارة الفقراء، والمرضى، وكبار السن، والنساء المتعافيات من الولادة، والمساكين، وطريحي الفراش، والأصدقاء الذين يبلغ عددهم العشرات. شراء ثلاثة أزرار، رطل من السكر، متر دانتيل، رباط حذاء أسود، ثوب نسائي أبيض، قرفة، طبشور، بقايا حرير، زجاجة حبر بنفسجي. وتطريز عشرات المناديل.

تحضير سلال كبيرة للنزهة من الدجاج المقلي والخيار والخبز الطازج، وملء زجاجة عصير الليمون، وقطع البطيخ، ووضع مفرش المائدة أسفل كل ذلك، وتتذكر وضع الشوك، والسكاكين، والمناديل الكتانية.

استقبال الضيوف؛ من التجار، والأصدقاء، والمعارف، والزوار العابرين، وأيضًا المتسولين الذين يطرقون الباب في بعض الأوقات.

هكذا تستقبل الجميع.. تشتري من التاجر، وترحب بالضيف الثاني والثالث، وتقدم الشراب للرابع، وتغلق الباب في وجه الخامس.

وضع آخر حبات التوت على الموقد مع وزنها من السكر لتنضج. تعقيم البطرمانات بالماء المغلي. صب المربى في البطرمانات وغلقها بإحكام حتى فصل الشتاء.

مساعدة الأم في شواء لحم الخنزير وتقشير الخضار، وترتيب الطاولة، وتنظيفها بعد تناول الطعام، وتجفيف الأطباق، ووضعها في مكانها، ووضع الأكواب مقلوبة على الأرفف.

وحضور حفل موسيقي في الهواء الطلق مع جميع شباب البلدة.

بمجرد أن تغلق "إيميلي" باب غرفة نومها خلفها وتدخل إلى الصمت، تبدأ في سماع الصوت الذي يتحدث، أو لا يتحدث، في أعماق رأسها.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

***

سقطت كل أوراق الأشجار في الحديقة ما عدا واحدة. شجرة القيقب الصغيرة، الموجودة في آخر الفناء، والتي احتفظت بأوراقها الصفراء، حيث تأتي أشعة الشمس لتدفئتها.

من بعيد، تبدو الشجرة وكأنها نار صغيرة مشتعلة، ترقص في مهب الريح، تتحدى البرد، غير مبالية بالصمت المنذر والمسيطر على الأشجار الأخرى، التي تشبه أغصانها العارية الفحم المتحجر.

تبتعد الغربان عنها، فلا شيء يعوق رونقها الذهبي. يبدو أن شجرة القيقب تعلق فوانيسها في الهواء. من يحتاج إلى زجاج الكنيسة الملون ولديه مثل هذه الشجرة في الحديقة؟!

تبقى الشجرة على قيد الحياة حتى الشتاء، وحين تسقط أوراق الأشجار الأخرى في السبات الشتوي العميق، تظل هي محتفظة برونقها، حيث تتألق أوراقها أسفل النجوم في ليالي ديسمبر الطويلة.

منذ أن كانت طفلة، واكتشفت كوكبة "الجبار" المعروف باسم "الجوزاء" بشكلها الناعم ونجومها اللامعة في السماء، حيث تشبه الساعة الرملية، والكلب يقود الطريق، قررت منذ فترة طويلة أن هذه الكوكبة من النجوم ستكون منزلها في المستقبل.

الكتاب المقدس مليء بأسرار يتعذر فهمها. روح الإنسان ضعيفة، ولكن هناك شيء واحد تفهمه "إيميلي" تمامًا؛ وهو أن جنة عدن كانت في البداية حديقة.

الشتاء يمر كالحلم.

***

يسير "أوستن" و"إيميلي" و"لافينيا"، خلف ثلاثة ظلال خافتة، يعبرون معًا الطرقات التي تصطف على جانبيها الأشجار، حيث تغني الطيور غير المرئية. تفوح رائحة الزهور البيضاء والتفاح والخوخ والفراولة في الهواء. الطقس معتدل بشكل لطيف. العشب هنا أكثر اخضرارًا مما هو عليه في أي مكان آخر، تقريبًا بلون الزمرد.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يُعتبر قبر "صوفيا" من أحدث المقابر في المقبرة. يقفون أمامه ويحنون رؤوسهم. تركع "إيميلي" وتضع يديها على الحجر الدافئ.

لم تكن"صوفيا" أصغر شخص في المقبرة. تم دفن العشرات من الأطفال هنا، فتيات وفتيان صغار يرقدون تحت الأرض في أفضل ملابسهم، ماتوا من السل الرئوي، الأنفلونزا، الحصبة، فقر الدم، الخناق، الخوف، الغضب، الملل. تلعب أشباحهم الشاحبة، التي تختفي وراء الأشجار المتفتحة، بأوراق اللعب. يختبئون وراء الصلبان الخشبية الطويلة، ويمدون أذرعهم وهم يقلدونها، يركضون بقدر ما تحملهم أرجلهم الشفافة بين الممرات، ويضحكون في صمت.

من دون أي كلمة، بدأ "أوستن" و"لافينيا" في السير مرة أخرى، لديهما موتى آخرون لزيارتهم. كان شتاءً قاسيًا. تظل "إيميلي" راكعة لوقت طويل أمام قبر صديقتها. تود التحدث إليها، لكن العشب أصم وأبكم. عندما تقف "إيميلي" أخيرًا، يبقى ظلها ملقى على الأرض. عندما يقوم الظل من على الأرض، بدلًا من أن يتبعها، فإنه يتجه للتسابق مع الأشباح الصغيرة.

***

تحتفظ "إيميلي" بأسنانها اللبنية، عشرين لؤلؤة غير منتظمة موضوعة بصندوق مرصع على مكتبها. في بعض الليالي، تقول لنفسها: إن الفتاة الصغيرة صاحبة هذه الأسنان ستعود من أجلهم، شبحًا صغيرًا بلا أسنان.

***

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إنها طويلة جدًا، وعنقها طويل جدًا، وساقاها متصلبتان. كان ينبغي أن تولد كفزاعة في حقل، محاطة بطيور الزرزور، واليقطين. كانت ستمضي معهم صيفًا كسولًا، غارقة في زخات المطر، تشاهد القرع يتضخم في الشمس. وبعد ذلك؛ في وقت الحصاد، يلتقطونها هي أيضًا ويلقونها في النار. كانت ستصنع شعلة متوهجة، بذراعيها الجافتين، وقدميها المتيبستين، وشعرها الطويل، وقلبها المشتعل مثل عود الثقاب.

***

في الصباح؛ عندما استيقظت "إيميلي"، اكتشفت زهرة حمراء على ملاءتها، البقعة نفسها موجودة على ثوب نومها، وعلى ملابسها الداخلية القطنية. وجدتها الأم في المطبخ، منحنية فوق الحوض، تنظف الملاءة بجنون بالماء والصابون.

- ماذا تفعلين بحق السماء؟ إنه ليس يوم الإثنين!

قالت "إيميلي" بنبرة هادئة:

- أنا مريضة. أنا أنزف، ربما سأموت.

- أوه، هذا ما في الأمر.

تجيب والدتها، والاشمئزاز وعدم الراحة يتنافسان في صوتها:

- أنتِ لستِ مريضة. لقد أصبحتِ امرأة. هذا ما يحدث لنا جميعًا.

تتوقف "إيميلي" عن غسل الملاءة. كل النساء مريضات. هذا يفسر أشياء معينة، لماذا يمارس الرجال وظائف بعينها مثل المحامي، والطبيب، والموثق، والقس. تتمدد الملاءة في حوض الغسيل، مثل مخلوق بحري أو قنديل بحر أو شقائق النعمان في المياه الوردية. لا تشعر بأطراف أصابعها. تكمل الأم:

- هذا يحدث مرة واحدة في الشهر، ويستمر بضعة أيام.

فليكن الأمر كذلك، تفكر "إيميلي" وهي تستأنف الغسيل بغضب متجدد. أيام قليلة في الشهر سأكون امرأة وبقية الوقت سأكتب.

***

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مع رحيل "أوستن" للدراسة في جامعة "هارفارد"، تكتب له "إيميلي" رسائل يومية، رسائل مملوءة بالمشاعر الجياشة وخفة لا تقاوم، على أمل أن يعود إلى المنزل. لكنه لا يعود إلى المنزل. رسائلها لا تفي بالغرض. ربما يجب أن ترسل له فراشات.

على مائدة العشاء؛ يبقى كرسي أخيها الحبيب خاليًا. ترك غيابه ثقبًا في صدرها. يظهر على وجه الأب تعبيره الخاص حين يكون حزينًا، لا بد وأنه كان يومًا سيئًا في شركته وعمله. إنه محاصر بمخاوف مهمة، مخاوف رجل يذهب إلى المدينة ويلتقي برجال آخرين، ويتخذون معًا قرارات بشأن مصير العالم، بنسائه، وأطفاله، وكلابه، وقططه، وجميع المخلوقات الأخرى الأقل أهمية.

تبدو الأم غائبة، كما هي دائمًا، ولكن بشكل متزايد. تحرك الشوكة من الطبق إلى فمها بشكل آلي، تبدو عيناها وكأنهما من الخرز الزجاجي. تسقط "لافينيا" قطعًا صغيرة من الدجاج على الأرض، تلتهمها قطة برتقالية سمينة تبنتها مؤخرًا. تتمسح في ساقيها وتموء.

تراقب "إيميلي" بدهشة هؤلاء الغرباء، الذين منحتهم لها الحياة كعائلة. لماذا لم تولد في عش طائر الـ"روبن"؟ على الأقل كانت ستتعلم الأساسيات.. الغناء، والطيران، وبناء عش.

***

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في السنة الثانية لنا في "بوسطن"، احتل المنزل الذي استأجرناه الطابق الثاني والثالث والرابع من عمارة مرتفعة تعود للعصر الفيكتوري. تم تجديد المبنى بالكامل من الطابق السفلي إلى الأدوار العليا بالطريقة الأمريكية المتباهية.

بالمنزل مائدة كبيرة من الجرانيت في المطبخ، وثريات ذهبية، وحنفيات باهظة الثمن، ذوقها سيئ. لكن الغرف كانت لطيفة ومشرقة، وكان لأمي دور بالكامل لنفسها عندما أتت للزيارة.

عدت أنا وابنتي إلى "مونتريال"، لذلك اضطر زوجي إلى تأثيث الشقة بمفرده. ذهب إلى معرض "إيكيا" للأثاث حيث اشترى، تقريبًا، قطعة أو أكثر من كل شيء، كما لو كان يملأ بيت دمية فارغ.. طاولة، وأربعة كراسي، سرير، طاولة تغيير حفاضات، سريرين، مرتبتين، ملاءات، وسائد، بطاطين، مناشف، ثلاثة خزانات ذات أدراج، خزانة ملابس، أربع طاولات بجانب السرير، مصابيح، طاولة قهوة، مسند أقدام، أطباق، بياضات، منافض غبار، ماكينة صنع القهوة، إبريق شاي، مُقشرة خضروات، مقص، أدوات مائدة، فتاحة علب، مضرب، لوحين للتقطيع، مجموعة من الأواني، مجموعة أوانٍ للقلي، فتاحة، غلاية، سلة قمامة، ثلاث علب قمامة، أريكة، وسائد، ثلاث سجادات، رف أطباق، مكنسة، دلو، فرش، إسفنج.

كان عليه أن يقوم بأكثر من ست رحلات، في كل مرة يدفع بعربتين ممتلئتين. وكانت الفاتورة، التي أفضّل عدم معرفة حسابها النهائي، عبارة عن مخزون متنوع لا يختلف عن القوائم المذهلة في رواية الفرنسي "جورج بيريك".. "*الحياة.. دليل المستخدم*".

وصلنا خلال موجة برد، وكانت درجة الحرارة في المنزل حوالي عشر درجات. نسي المالك - الذي كان يقضي الشتاء في "فلوريدا" - أن يضع النوافذ المضادة للعاصفة. لجأنا إلى فندق حتى تم تركيبها.

من الطابق الرابع لفندق "فيرمونت"، حيث شغلنا ثلاث غرف تطل على الشارع، كان بإمكاننا رؤية الميدان أمام الكنيسة، حيث انفجرت القنابل بعد عامين من الآن، مما أسفر عن مقتل ثلاثة متسابقين في الماراثون.

في ذلك الوقت؛ ساد هدوء الطقس البارد الخارق للطبيعة. لم يكن هناك أحد

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في الخارج تقريبًا. انطلق عدد قليل من المارة في الشوارع، ذقونهم مدسوسة في أوشحتهم.

تحدثوا في التليفزيون عن درجات برودة قياسية، وهطول غير عادي للثلج (سقط حوالي عشرة سنتيمترات من الثلج. قد يعتبر هذا عاديًا في "مونتريال"، لكن "بوسطن" لم تكن مجهزة لهذا النوع من التراكم الثلجي) ظهرت على الشاشة صور سخيفة تم عرضها باستمرار لكاسحة ثلجية اشتعلت فيها النيران في منتصف طريق فرعي.

من خلال النوافذ المكسوة بالجليد لغرفنا، بدا ميدان "كوبلي" مثل حي "الكرملين" بروسيا.

عدنا إلى الشقة بمجرد تركيب النوافذ المضادة للعاصفة، لكن درجة الحرارة لم ترتفع سوى أربع أو خمس درجات في أحسن الأحوال. عندما رفعنا أغطية المدفأة الخشبية، اكتشفنا أن المدفأة المصنوعة من الحديد الزهر، قد أزيلت أثناء التجديدات على ما يبدو. من المفترض أن تعمل أنابيب المياه الساخنة النحيلة الممتدة بطول الجدران على تسخين الطوابق الثلاثة، ناهيك عن أن السخان، الذي لم يكن على قدر المهمة، كان بالكاد يسخن ثم يغلق تمامًا.

أتذكر وأنا أرتجف، وأرتدي قبعة على رأسي وحذاءً عالي الرقبة في قدمي في هذه الشقة الفاخرة الفخمة، إنني نظرت بشكل لا يصدق لهذه القطع الخشبية الطويلة، التي وضعت أمام المدفأة التي تمت إزالتها أثناء التجديد. وتعجبت من الناس الذين طلوا بالذهب كل شيء وأضافوا كل الخدمات وأزالوا المدفأة.

***

بعد أن فرشت الشقة، بقيت الجدران عارية بشكل بائس. طلبت عبر الإنترنت ورق الحائط المرسوم عليه بعض الزهور النباتية القديمة (البراسيكا أوالملفوف وبيتا فولجاريس أو بنجر السكر وكاروتا أو الجزر البري) لنعلقها في المطبخ وغرفة الطعام، وبعض الملصقات الملونة، بما في ذلك رأس النعامة المحترمة التي يلتف العقد اللؤلؤي حول رقبتها، ولوحة لـ"بيكاسو" بتركيبة معقدة، لم أهتم بها كثيرًا إلى أن أشارت لي "زوي" البالغة من العمر عامين بجدية:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- الرسام رسم نفسه.

ورأيت أنها في الواقع صورة ذاتية للفنان أمام حامل الرسم. كل هذا حتى يصبح من الممكن أن تصدق أن هناك أناسًا يعيشون في هذا المنزل.

أحضرنا ملصقًا ضخمًا من معرض الرسام الأسكتلندي "بيتر دويج" في متحف الفنون الجميلة بـ"مونتريال"، بعنوان "لا أراضي أجنبية"، والذي بدا وكأنه وعد أو اسم برنامج. بالإضافة إلى ذلك؛ شعرت وكأنني أسخر من هذه المدينة بلصق بوستر بالأحرف الكبيرة لكلمة "مونتريال" على جدار هذه الشقة في "بوسطن". كان حجم الملصق مترين تقريبًا، ولم يكن المعجون الأزرق الذي استخدمته للصق الملصق لزجًا بدرجة كافية لإبقائه ثابتًا في مكانه. كان الملصق يسقط كل ليلة أثناء نومنا، وكل صباح أجده ملفوفًا على الأرض أمام الأريكة.

***

بعد ظهر أحد الأيام، خرجت أنا وأمي في نزهة مع ابنتي التي كانت جالسة في عربة الأطفال. تجولنا في شارع "تريمونت"، بجوار محلات النبيذ ومحلات البقالة الفاخرة والمطاعم والبارات العصرية. كنت أنظر إلى واجهات العرض للمتاجر، وشعرت بالقوة بطريقة يصعب شرحها. من خلال باب مفتوح جزئيًا، رأيت سلسلة من الصور الصغيرة معلقة على جدار من الطوب.

لم تكن مطبوعات أو ملصقات بالضبط، ولكن صفحات مأخوذة من كتب قديمة، رسم الفنان عليها علامات بالحبر الأسود تبدو وكأنها أحرف من لغة منسية. اللوحة التي أعجبتني عبارة عن كرة كبيرة مرسومة أعلى سلسلة من العمليات الحسابية الصغيرة. صعدت السلم لأسأل عن السعر.

قالت المالكة إنها ستبيعني الصورة بمجرد انتهاء المعرض. سألتني عن رقم هاتفي، لم يكن لدي هاتف. اتفقنا على أن أعود بعد عشرة أيام. قبل أن أغادر، اشتريت تمثالًا لصرصور الحقل من النحاس القديم باهظ الثمن للغاية، بقرن استشعار يتدلى قليلًا. أخذت أقلبه بين أصابعي، وظللت أقول صراصير الليل على الموقد، وأفكر في القصص التي يحتفظ فيها الصينيون بهذه الحشرات في أقفاص خشبية صغيرة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عندما غادرنا تلك الشقة بعد عام واحد للعودة إلى "أوتريمونت" للأبد، تم تغليف تمثال صرصور الحقل واللوحة في صناديق مع بقية الأشياء وتركناها في المخزن. بالكاد أستطيع أن أتذكر التكوين في هذه اللوحة، ولا حتى عنوان اللوحة، ربما "الشمال الحقيقي"؟ على أي حال، كان الأمر متعلقًا بالبقاء هناك لهذه الفترة من الزمن.

***

إذا طلبت من "إيميلي" رسم فتاة صغيرة، فسوف ترسم صورة لـ"سوزان".. جميلة ومفعمة بالحيوية وفخورة وذكية. إنها ما تود "إيميلي" رؤيته عندما تنظر في المرآة. مثل التوأم المثالي، صديقتان مقربتان جدًا ولا تفترقان أبدًا. تتجولان معًا في شوارع "أمهرست" المألوفة، تقطفان الأزهار من الحدائق، تصنعان المربى، وتخبران بعضهما بعضًا بقصص خيالية.

تتميز "سوزان" ببشرة بيضاء، وفم أحمر دائري مثل الكرز، وخصلات شعر متموجة، تتراقص حول خديها. تمنع "إيميلي" نفسها من لمس شعرها بلطف وإعادة ترتيبه، كما تفعل مع الدمى.

بعد ظهر أحد الأيام جاءت "سو" لزيارة "إيميلي". كان "أوستن" قد عاد مؤخرًا من "هارفارد"، وفتح لها الباب. يعرفها منذ أن كانت طفلة، لكنها نمت في غيابه لتصبح فتاة بالغة. يكبرها في العمر ببضع سنوات، وهو يعرف كيف يبدو كرجل:

- حسنًا، مرحبًا.

قال "أوستن"، وأخذ يبحث بيأس عن شيء آخر ليقوله.

قالت "سوزان" وهي تخفض عينيها وتنظر إليه من تحت رموشها:

- لم أدرك أنك عدت للمنزل. هل استمتعت بالإقامة في "بوسطن"؟

- إنها مدينة رائعة، ولكن "أمهرست" بها عوامل جذب لا تتمتع بها "بوسطن".

قالها بنظرة ثاقبة جعلت الفتاة تحمر خجلًا.

عندما نزلت "إيميلي" إلى الطابق السفلي، كانت "سوزان" جالسة في الصالون،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

و"أوستن" يقرأ لها. إنها ضيفته الآن، وقريبًا سوف يتقاسمها الأخ والأخت بالتساوي.

***

عندما تراهما معًا؛ ينقبض شيء ما في صدرها. قلبها أسود، إنه يؤوي شعورًا يلتهمها من الداخل. تشعر "إيميلي" بالغيرة المضاعفة، من حب "أوستن" لـ"سوزان"، ومن الحب الذي تشعر به "سوزان" لـ"أوستن" في المقابل. إنها ترغب في أن يغمرها هذان الشخصان بهذا الحب. إنها تشعر بالخيانة بشكل مضاعف، حتى ثلاث مرات، لأن قلبها خانها هو الآخر. أصبح قلبها قطعة كبيرة من الفحم احترقت مرتين، وأصبحت كومة من الرماد.

***

تصطف الدعوات وإشعارات الوفيات التي وصلتهم طوال العام على الرف الذي يعلو المدفأة مثل إكليل، فاتح وداكن. واحدة تلو الأخرى، تُختطف صديقاتها إما بسبب الزواج أو المرض. في عام واحد، حضرت "إيميلي" عديدًا من حفلات الزفاف وعديدًا من الجنازات، لدرجة أن عقلها يجد صعوبة في التفرقة بين جميع مراسم الوداع، التي تبدو فيها الفتيات الصغيرات متنكرات، وكأنهن لم يعدن أنفسهن.

نرى الموتى فقط في الأحلام. أما بالنسبة للفتيات اللاتي يتزوجن، فبعضهن يزددن وزنًا عند الخصر، وتصبح حركتهن أكثر فتورًا، يمشين وكأن لديهن تشوهات في القدم، وكأنهن يضعن البيض بين أرجلهن. ثم لا يذهبن إلى أي مكان دون هذا المخلوق الوردي الصغير الذي يصرخ بين أذرعهن. ثم يتغيرن إلى الأبد.

ترتجف "إيميلي" من الفكرة، تتجه إلى "لافينيا"، التي تحيك شيئًا بالقرب من النافذة بينما القطة ترقد في حجرها، وتسألها:

- أي الشرين ستختارين.. الحب أم الموت؟

تهز "لافينيا" كتفيها. هي على علاقة بشاب من البلدة ترضيها تمامًا ولا تشعر أنها بحاجة للحديث عنه. تنهض قائلة:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- سأحضر لنا بعض الشاي.

بدأت أوراق الشجر تذبل بالفعل في الحديقة.

***

ترتدي الشقيقتان أفضل الفساتين. قاما بتصفيف شعرهما أمام المرايا، مع اهتمام خاص بتصفيف الشعر ووضع الشرائط. تقوم "لافينيا" بقرص خديها وتعض شفتيها ليتدفق الدم إليهما، بينما تبدو "إيميلي" شاحبة مثل الثلج. تجلسان جنبًا إلى جنب على مقعد الكنيسة الخشبي الأبيض.

تتقدم العروس بخجل، ليست معتادة على أن تكون مركز الاهتمام. ولم يكن أداء العريس أفضل بكثير، لكنه يجبر نفسه على التصرف بشجاعة. ربما لم يريا بعضهما بعضًا سوى عشرين مرة قبل هذا اليوم. تبادلا بعض الرسائل المهذبة، وقاما بزيارات متوترة. كلاهما يبلغ من العمر 21 عامًا. هو محام، وهي امرأة، لذا ستكون زوجة المحامي وأمًا بالطبع.

ترى "إيميلي" مصير العروس يلقي بظلاله، مرسومًا أمامها، ومخططًا له مسبقًا.

***

هناك دائمًا ما يمكنك القيام به في "هومستيد"؛ تقطيع الفراولة، تلميع الفضة التي يسود لونها مرة أخرى في الخزانات بمجرد أن تدير ظهرك، حياكة قطع من القماش للحاف طفل لم يولد بعد، فرز الملابس القديمة لإرسالها إلى فقراء، محاسبة الموردين، متابعة مسار نحلة في الحديقة، لكن هذا العمل قد يستغرق العمر كله.

تخبز "إيميلي" الخبز في المطبخ. تشعر بالعجينة ناعمة ودافئة ومرنة تحت أصابعها مثل الجلد المألوف. تعجن بضربات طويلة، من الأمام إلى الخلف، وتكرر مائة مرة.

بعد المرة الثانية والستون، تضع كفيها على الطاولة، تتوقف، وتنظر حولها، وتمسك بكيس الطحين الورقي الفارغ وتمزق قطعة منه. تخرج قلم رصاص قصيرًا من جيبها، وتدون بضع كلمات - ست عشرة كلمة على وجه الدقة، وخمس شرطات كأنها تنهيدات، ثم تقوم بطي قطعة الورق بإحكام، حتى لا تأخذ مساحة أقل من

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ظفر وتضعها في جيب مئزرها. وتعود لتعجن الخبز. ثلاثة وستون.

تحتفظ بالقصائد المكتوبة على عجل على أوراق العبوات في درج المكتب. عندما تخرجهم مرة أخرى، تتعرف عليها من رائحتها، تشم في البعض نفحة من الطحين، والبعض الآخر رائحة الفلفل أو المكسرات. رائحتها المفضلة هي الشوكولاتة.

***

لتقوم بالتنزه مائة مرة، أو ألف مرة، بهذه الكثرة، ما عليك سوى التنزه كل يوم في الحديقة نفسها. في أحد الأيام، لاحظت "إيميلي" تحت كومة من أوراق الشجر عائلة من القنافذ ملتفة معًا بشكل مضحك، أشواكها مرفوعة، كما ينبغي لها أن تكون.

في مرة أخرى، رأت طائر الـ"روبن" يقوم بسحب دودة طويلة من الأرض أمام عينيها مباشرة حتى انقسمت الدودة لنصفين. أكل الطائر النصف، وظل نصف الدودة الآخر حيًا. بعد ظهر أحد أيام فصل الربيع، كانت السماء تمطر بغزارة لدرجة أن القطرات سقطت على الأرض وارتدت مرة أخرى مثل المسامير، حتى ظنت أن المطر يتصاعد من الأرض.

لشهور كانت تتجول في الحديقة بصحبة "صوفيا"، حيث ترتفع ضحكاتها باستمرار بالقرب من أشجار التفاح، وأمام مجموعات نبات الـ"زينيا".

ذات يوم من أيام شهر نوفمبر، بدأ أول تساقط للثلوج عندما رفعت رأسها نحو السماء، يدهشها أول تساقط للثلوج في كل مرة.

وفي وقت مبكر من صباح أحد الأيام، صادفت طائر الـ"عقعق" يمسك بسوار ذهبي في منقاره.

تتراكم كل هذه الأيام، مثل أوراق الرسم، لتشكيل لوحة واحدة مكونة من مائة طبقة؛ القنافذ، طائر الـ"روبن"، الـ"عقعق"، والثلج، يرافقونها في نزهاتها، مع ذكرى "صوفيا".

***

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بينما تتمشى "إيميلي" في الحديقة، دخلت الأم إلى غرفة نومها، التي دائمًا ما يكون بابها مغلقًا. كل شيء على ما يرام، اللحاف مفرود على الملاءة بإحكام، والوسائد نظيفة، بدت الغرفة مثل حجرة راهبة منعزلة.

وجدت في درج المكتب الصغير مجموعة من الأوراق المكتوبة بخط يد "إيميلي" الرائع، والتي قارنها مدرس في "ماونت هوليوك" بالمسارات التي صنعتها أقدام طيور ما قبل التاريخ، والمحفوظة في متحف المدرسة، وهي مقارنة جعلت "إدوارد ديكنسون" يعبس ويتجعد جبينه، وهو ما أزعج زوجته قليلًا وجعلها تتساءل في نفسها: "ما الذي حدث لهذه الطفلة لتكتب مثل طائر ميت؟".

تلتقط أول ورقة، وهي جزء من ورقة ممزقة على عجل، وتقلبها؛ من ناحية.. وجدت وصفة إعداد خبز الزنجبيل الخاصة بـ"إيميلي"، أليست هذه هي الوصفة التي فازت بها ابنتها في الصيف السابق بمسابقة الخبز السنوية في المدينة؟ على الجانب الآخر من الورقة، وجدت سلسلة من الكلمات التي لا علاقة لها ببعضها. ينقسم النص بشكل غريب بشرطات طويلة، هل هي قائمة؟

"أعتقد - عندما أحسب في المطلق –

أولًا- الشعراء- ثم الشمس –

ثم الصيف - ثم جنة الرب -

بعد ذلك – تكتمل القائمة".

هذا ما كان مكتوبًا، قرأته الأم مرة أخرى في حيرة، بدت الكلمات كتعويذة غريبة، ثم تطوي قطعة الورق بعناية على جانب وصفة خبز الزنجبيل، وقبل أن تخرج من الغرفة قرأت المكونات:

"1 لتر دقيق

نصف كوب زبدة

نصف كوب كريمة

1 ملعقة كبيرة زنجبيل

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

1 ملعقة صغيرة صودا

1 ملعقة صغيرة ملح

تُعجن مع العسل الأسود".

***

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بُني منزل "أوستن" و"سوزان" على الأرض المجاورة لـ"هومستيد"، على مرمى حجر من المنزل الكبير. يطرق الجيران أبواب بعضهم البعض عشرات المرات في اليوم لاستعارة كتاب، أو مشاركة مقال، أو إحضار فطيرة لا تزال دافئة، أو إعادة عدسة مكبرة، أو التأكد من وصفة طعام، أو إعادة جريدة، أو طلب معلومات، أو توصيل الأخبار، أو ترك نوتة موسيقية.

في شوارع "هومستيد" تمتد وتكثر النباتات دائمة الخضرة، حتى يبدو إنها نبتت في عجلة من أمرها.

***

تراقب "إيميلي" تلك النباتات من خلال نوافذ الصالون وغرفة الطعام، حيث يبدوان محددين في الضوء مثل لعبة خيال الظل الصينية بالحجم الطبيعي. تتبع الظلال إلى غرفة النوم، ثم تدير ظهرها. لا تحب أن ترى الدمى الخاصة بها على الملاءة المجعدة. تفضُّل - في عقلها - وضع الدمى في صندوقها حيث ترقد بهدوء مثل الزهور التي تتركها لتجف.

***

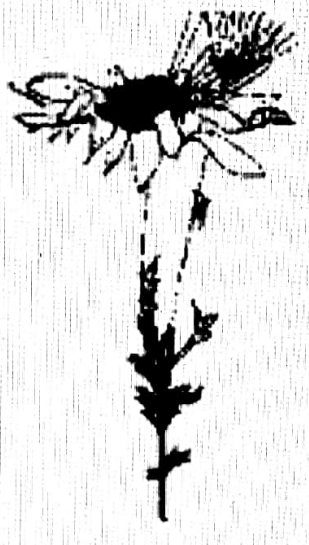

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الحديقة أكبر من كل المجرات مجتمعة. لا يمكن أن تحتوي المجرات على كثير من النمل والزهور والعشب. إنها الكون بأكمله، يحده من الجنوب الطريق الرئيس، ومن الشرق شجرة الـ"شوكران"، ومن الغرب النباتات دائمة الخضرة، ومن الشمال أجيال من عائلة "ديكنسون"، من ولدوا ودفنوا تحت هذه الأرض. كان "نثانيال" أول من وصل في عام 1630 مع "جون وينثروب"، ونحو سبعمائة من النازحين الأوائل من المتشددين.

كان الأسطول مكونًا من 11 سفينة، ولم يحتفظ التاريخ باسم السفينة التي قام الجد الأكبر "ديكنسون" برحلته على متنها: "أرابيلا"، "تالبوت"، "أمبروز"، "جول"، و"ماي فلاور" (ليست السفينة "ماي فلاور" الشهيرة، بل واحدة أخرى) "ويبل"، "ساكسس"، "تشارلز"، "ويليام وفرانسيس"، "هوبويل" أم "تريال".

لا توجد وثيقة تؤكد ذلك، لكن "إيميلي" تعرف أن أجدادها تركوا، بالتأكيد، سفنًا مثل "ويبل" و"جول" و"تريال" و"هوبويل" للآخرين، وعبروا المحيط في قلب زهرة.

***

يوم الإثنين هو يوم الغسيل؛ تجمع "إيميلي" الغسيل النظيف من على حبل

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الغسيل وتطويه، وتصنع أكوامًا للبياضات المنزلية، كومة لملابس الأم، و"لافينيا"، أو لملابسها الداخلية. فجأة، تسمع شخصًا يتنهد. تقف الأم في المدخل وتبدو متعبة كالعادة. تهز رأسها وتقول:

- يا فتاتي العزيزة، لقد أخبرتك مائة مرة، هذه ليست الطريقة التي تُطوى بها ملابس النساء.

تنظر لها "إيميلي"، هذا حقيقي، لقد قالت لها مائة مرة، مائة مرة ولم تسمع. كيف تطوي الملابس بطريقة سليمة؟! هي لا تعرف. ولو أن الأم قالت لها مائة مرة أخرى، فإنها لن تستمع:

- كنتِ ستصبحين ربة منزل بائسة يا طفلتي؟ من الأفضل أن تظلي عانسًا.

- أنتِ على حق. بعض النساء لم يخلقن ليصبحن أمهات.

تغادر الأم، تحرك قدميها، وتحك نعالها الأرض مثل ورق الصنفرة. تنظر "إيميلي" إلى أكوام الملابس أمامها، وتقاوم إغراء تجعيد ملابس الأم والضغط عليها. وبدلًا من ذلك، ترفع قطعة من ملابسها.. لونها رمادي لؤلؤي، وتكومها على شكل كرة، وتلقيها على الأرض. تفعل الشيء نفسه مع مناديلها الوردية، وقميصها البيج، وتنورتها العنابية وثوب آخر أزرق، تحتفظ فقط بالملابس البيضاء النقية، التي تصعد بها إلى الطابق العلوي لتضعها في أدراجها. تبقى الألوان على الأرض، مهزومة، مندحرة.

في الحلم؛ تحمل ملابسها بين يديها، وتلقيها من النافذة في منتصف الفناء، حيث تشكل جبلًا من البني والأخضر والرمادي والأزرق الداكن والأرجواني. تلتف الجوارب حول التنورات مثل أفعى البواء. ترقد الفساتين هناك، تتلوى. تتفتح التنانير مثل المراوح. تحتوي الكومة على منسوجات من الصوف والقطن والكتان ودانتيل الحداد الخشن. بمجرد أن يتجمع كل شيء هناك، تُخرج عود ثقاب وتشعله، تمسك به للحظة أمام عينيها ثم ترميه على الكومة التي تشتعل فيها النيران. لا شيء يحترق أسرع من الأشياء التي يتم التخلي عنها.

تمد "إيميلي" يديها أمام الحريق لتدفئة أصابعها. في الدخان المتصاعد إلى السماء، يمكنها تخيل شكل فستانها الجديد وسترتها الصوفية، التي كانت تدفئها

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في الشتاء الماضي.

تنتظرهم "صوفيا" وهي تجلس على سحابة، لم تكبر، تبدو برشاقة طفلة تبلغ من العمر خمسة عشر عامًا، ترتدي الفستان والسترة، تتبختر، مقلدة الطريقة التي تمشي بها النساء. ينفجر الشبح الصغير المتأنق في الضحك. بينما في الفناء، يستمر أي شيء غير أبيض في الاحتراق.

هذا ما تحلم به "إيميلي". لكن في الواقع، تمسك الملابس التي لن ترتديها، بعد الآن، بلطف، تطويها بقدر كبير من العناية كما لو كانت تخزنها للموسم المقبل، ثم تكدسها في الصناديق التي ستوزعها "لافينيا" خلال جولتها المقبلة من الأعمال الخيرية. الآن يمكن للفقراء أن يستمتعوا بكثير من الألوان.

***

فوق حرارة الموقد؛ علقت قدرًا كبيرًا من الحديد الزهر. تُعير "لافينيا" المقادير، تزن، تصب، تبشر، تقشر، تخرج البذور، تقطع، تحلي، تخلط، تعصر، تقطع لشرائح، ترش، ترمي، تضيف النكهات، تحلي، تُلمع، تُتبل، قرفة، زنجبيل، جوزة الطيب، تُقطع لمكعبات، تنقع، تُبرد، تنخل، تعجن، تخفق، تدق، تسحق، تطحن، تزيت، تقلي، تُخلي، تزيل السيقان، تضرب، تنقع في التتبيل، تُخلل، تعجن، تُشكل في خطوط، تفرش، تُغطي تُزين، تضع الدقيق، تنقش، تُجفف، تُرقق، تُقسم، تُخفف، تُقلم، تزيل القشر، تزن، تبشر، تقطع لشرائح، تشحم، تحشو، ترس، تُقطع رفيعًا، تضع في قالب، تقلب، تكشط، تفصص، تحمص، تطهو، تحمر، تهرس، تشوي، تقلى، تسلق، تغلي على نار هادئة. لم تحلم قط بأن تكون حاوية ألاعيب. ما الهدف، عندما يمكن أن تكون ساحرة؟!

تحيك "لافينيا" الكوفيات والأوشحة. تطرز المناديل، تصلح التنانير، تخيط المآزر. أما "إيميلي" فتفعل العكس. بينما تلبسهم أختها، تخلع "إيميلي" ملابسها في صمت غرفة نومها. أولًا، تزيل المعتقدات والأخلاق السائدة، ثم تزيل الرب وموكبه المهيب، والزيارات، والواجبات، والابتسامات. ثم يتبقى لها أن تخرج من جلدها وتقف أمام المرآة، بأسنانها والضلوع البارزة، وهيكلها العظمي الصغير، بيضاء كالثلج.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في "بوسطن"؛ بدا كل سكان المدينة كأنهم جميعًا أقرباء وأبناء عمومة "جون ف. كينيدي" من قريب أو من بعيد. لهم النظرة المباشرة والابتسامة نفسها.

يبدون جميعًا كأنهم خريجون جدد من جامعة "هارفارد". ويمكنني أن أقسم أنهم جميعًا أمضوا عطلة نهاية الأسبوع في "كيب كود"، يلعبون الكرة مع الأطفال، ويجلسون على الشاطئ. في المتاجر وفي الشوارع، كان كل هؤلاء - أشباه "كينيدي" - ساحرين ومتحمسين ومبتسمين بشكل موحد، ولطفاء بشكل مذهل مع واحدة قادمة من "مونتريال" مثلي. ما السر وراء ذلك؟ لن أعرف أبدًا. بالنسبة لي، ظلت "بوسطن" مدينة ورقية.

***

في إحدى أمسيات الربيع، مع غروب الشمس، مررنا بمدرسة الباليه في الوقت نفسه الذي فتحت فيه أبوابها الكبيرة، لتخرج منها مجموعة من الفتيات الصغيرات اللاتي يشبهن البجعات، يصففن شعورهن عاليًا في كعكة على رؤوسهن، نزلن درجات السلم ضاحكات. كانت هناك اختبارات في ذلك اليوم لدور "كلارا" في باليه "كسارة البندق". في الخارج على الأرصفة وفي الشارع، كانت أمهاتهن النحيلات في انتظارهن، بشعورهن المصفف بعناية، والأحذية برقبة طويلة، والمعاطف الطويلة، والأوشحة الملفوفة حول أعناقهن. كن أنيقات بشكل جميل في وقت متأخر من بعد ظهر يوم الأحد (لم أفهم أبدًا كيف تتمكن سيدات "بوسطن" من أن يكن أنيقات بشكل جميل في أي وقت من اليوم، وتحت أي ظرف من الظروف؟). أخذت واحدة تلو الأخرى تفتح ذراعيها. كلهن، وصولًا إلى آخرهن، حصلن على دور والدة راقصة الباليه.

***

في ذلك الوقت؛ كنا نبحث عن منزل يطل على البحر، ليس بعيدًا جدًا عن المدينة ليكون منزلنا الجديد. رفضنا على الفور منطقة "كيب كود" لأنها باهظة الثمن، مزدحمة بالناس، يغزوها السياح في الصيف ويذهب إليها سكان "بوسطن" في عطلات نهايات الأسبوع الطويلة.

لعدة سنوات كنا نقضي الصيف في منطقة "كيب إليزابيث" بولاية "مين"، في

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

منزل على أرض شاسعة تضم حقولًا وغابات ومقبرتين صغيرتين وبركة وتلالًا ومباني من القرن التاسع عشر تحوَّل أغلبها إلى أنقاض، وإسطبلات للخيول الأصيلة، ومهبط للطائرات، حيث يوجد عدد من طائرات "سيسناس" الملونة، وبستان، ومزرعة صغيرة حيث تُربى أبقار "جالاوي" المخططة، ولا أعرف ماذا أيضًا!

يقع كل هذا على عشرات الكيلومترات المربعة، بحجم محمية طبيعية، وهذا بالضبط ما كان عليه الأمر، لأننا من نوافذ المنزل الذي استأجرناه، كنا نرى دائمًا الغزلان وعائلات الديوك الرومية أو الطيور البرية والأرانب والنسور، وحتى في بعض الأحيان، عند منعطف الطريق، كنا نرى حيوان الـ"نيص" في حجم كلب "لابرادور".

بالقرب من هذا المنزل يوجد شاطئ مهجور، رماله شديدة البياض وناعمة كالدقيق. وصلنا إليه عبر طريق متعرج يعبر المستنقعات وغابات الصنوبر والتلال الرملية، مثل ممالك القصص الخيالية الصغيرة.

هذا ما رأيته في ذهني عندما غادرنا هذا الصباح، نحو ما يُعرف في "بوسطن" باسم "نورث شور"، بعد أن قررنا التوجه شمالًا على طول الساحل حتى نجد شاطئًا يرحب بنا. كان النهار رماديًا وباردًا بالنسبة لفصل الربيع؛ ما زالت الأشجار بلا أوراق. تقريبًا كنا في شهر نوفمبر.

قدنا سيارتنا لثلاثين دقيقة تقريبًا لمغادرة المدينة عبر الطريق 1، حيث يمتد شريط من المتاجر الكبيرة والمطاعم الشهيرة، ومحطات الوقود، ومواقف السيارات لمسافة كيلومترات. من بعيد؛ تذكرنا السيارات الواقفة تلمع أسفل الشمس وبدت من بعيد كحشرات.

واصلنا السير شمالًا، في نهاية المطاف، ظهر في الطريق بعض المنتجعات السياحية، في تتابع لا نهاية له. استخدم مصطلح "المنتجعات" بدلًا من كلمة المدن لأبدو أنني استخدم كلمات طنانة أو لإثارة الإعجاب؛ ولكن ربما لأن المصطلح الذي اخترته يصف أجواء هذه الأماكن المطلة على البحر.

على الجانب الآخر من الطريق السريع، كانت المباني السكنية تشبه المكعبات،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المنازل تقف جنبًا إلى جنب، ربما تم بناؤها في الخمسينيات من القرن الماضي دون أي اعتبار للهندسة المعمارية أو التخطيط العمراني. كان الأمر كما لو أن شخصًا ما قرر أن يبني مدينة بلا روح، وبعشوائية، بالقرب من الأمواج.

نزلنا من السيارة، لم يكن هناك أحد في أي مكان، ولا عابر سبيل، ولا شخص، ولا حتى طائر. ضربت الريح وجوهنا. رائحة الملح الكئيب والمعادن تطفو في الهواء. امتد المحيط أمامنا في موجات قصيرة متقطعة، رمادية. لم يكن البحر حقًا.

***

لم تذهب "إيميلي" القادمة من الحقول إلى البحر أبدًا. هذا الامتداد الأزرق المتحرك يخيفها. تكتفي فقط بالتحديق في ألوان قوس قزح التي ترسمها قطرة ماء، واحدة فقط، على زجاج نافذة غرفة نومها. عندما تحلم بالمحيط، تخشى السقوط فيه كما لو كانت تهبط إلى سفح منحدر، هناك مخاطر مغازلة اللا نهائية.

قال الناس، إنها في البداية لم تعد تذهب إلى المدينة بالقدر نفسه، ثم عزلت نفسها في الحديقة، ثم أصبحت بالكاد تغادر المنزل، ثم الطابق الثاني، وأخيرًا سكنت غرفة نومها، والتي كانت لا تغادرها سوى عند الضرورة القصوى.

لكن في الواقع، كانت تعيش منذ فترة طويلة في مساحة أصغر بكثير؛ في قطعة ورق بحجم راحة يدها. لا أحد يستطيع أن يأخذ هذا المنزل منها.

***

كل ما تحتاجه في أحيانٍ كثيرة هو وضع بعض الجمل والكلمات، على الورق لتشعر بالهدوء للحظة من هذا الإلحاح، الذي لا معنى له، والذي يستهلكها. تشعر بأن هذه الكلمات أنقذتها. ما هي الأشياء التي حاولت أن تعبر عنها في هذه السطور؟! النسيان، الموت، جحيم العالم! لا تستطيع أن تحدد.

بينما الحرب الأهلية تمزق البلاد، تتفكك "إيميلي" أيضًا، قطعة تلو الأخرى. لا تعرف ما هذه المذبحة التي تحدث بالجملة، والرب الذي يراقبها. البيوت المحترقة والمزارع، والمشوهون، والحقول التي ينام فيها الشباب الوسيم مثل الدمى.

هذه البلدة لم تعد لها، توقفت عن الإيمان بأن هذه هي بلدتها؛ إنها بلدة تحاول

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تدمير نفسها. وقلبها، قلبها المسكين، المضطرب، ينفتح جرحه ببطء كل مساء ويندمل بطريقة ما مع الصباح.

تعرف الآن، أنه لم يكن كبد "بروميثيوس" هو ما يأتي النسر ليتغذى عليه كل يوم.

مع نهاية يومها، تخرج "إيميلي" إلى الحديقة. تأتي أشعة الشمس الأخيرة لتستلقي بين الأوراق، في مزيج رائع من الأصفر النحاسي، كما لو كانت آلات موسيقية لأوركسترا صامت ملقاة على الأرض، تركها الموسيقيون خلفهم. في مكان ما ليس بعيدًا، يقوم شخص ما بإشعال النار في الأغصان، وينتشر دخان رقيق مائل إلى الصفرة بين قرع الحديقة، والبرتقال المكور، والمشمش، وعبوات النبيذ المصنوعة من الجلد بلون الزبدة. يطير الإوز فوق الرؤوس، ويخترق الصمت.. يصيح بصوت عالٍ محلقًا، ثم ينسدل الهدوء ببطء على كل شيء، مثل جرح يلتئم.

في هذه اللحظة بالذات؛ تقف "إيميلي" في منتصف الخريف، تقف بين مفترق طرق بين عالمين أبديين، الصيف الذي لم يعد موجودًا والشتاء الذي لم يأتِ بعد. عليها أن تقف ثابتة، مرفوعة الرأس، لتتجنب الانزلاق إلى أي منهما، أن تخطو بحذر على حافة العشب الحادة.

***

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بعد مائة عام من وفاة "إيميلي ديكنسون"، قال شاعر من "مونتريال":

"الشعر هو مجرد دليل على الحياة.

إذا كانت حياتك تحترق، فالشعر هو الرماد.

أحيانًا تحير نفسك وتحاول أن تصنع الرماد بدلًا من النار".

عند اكتشاف علامة أو أثر لشيء ما، من المغري محاولة إعادة إنشاء العلامة بدلًا من الشيء نفسه، وبذلك تضحي بالأصل من أجل الظل. الركض خلف علامات النجاح، ولكن ما هو النجاح؟! أنا متأكدة من أن "إيميلي ديكنسون" لم تحاول أبدًا صنع الرماد. النار! ربما. أعتقد أن ألسنة اللهب ارتفعت من خلفها بعد وفاتها، دون أن تلاحظها، بينما هي مشغولة.. تسقي زهورها.

***

كبرت الفتيات من "ماونت هوليوك" وأصبحن سيدات. معظمهن متزوجات، وتقريبًا كل المتزوجات أصبحن أمهات. مما تراه "إيميلي"، لم تتحقق أحلام الفتيات الصغيرات، تلك التي أعلنَّ عنها أثناء جلوسهن في دائرة بملابس نومهن البيضاء.

كانت حياتهن كلها أمامهن، يعشنها، ما عدا حياتها هي؛ حيث عاشت منذ فترة طويلة في منزلها الورقي الخاص. لا يمكن للمرء أن يمتلك الحياة والكتب معًا، إلا إذا اختار المرء الكتب بدلًا من الحياة إلى الأبد، ليسجل حياته فيها.

لا تحسد "إيميلي" للحظة المواطناتَ المحترمات اللاتي يعتنين بأزواجهن أو ينشغلن بتصميم غرفة الأطفال أو القلق بشأن أصغر أطفالهن الذي تأخر في المشي. تتساءل: أين ذهبت جميع الفتيات من ذلك المساء؟ وأين ذهبت أحلامهن؟ كيف يمكن أن يكنَّ قد تغيرن بهذه السرعة؟ فجأة اتضح لها أن الفتيات ما زلن في "ماونت هوليوك". إذا فتحت باب المسكن، ستجدهن جالسات في دائرة، عيونهن مشرقة تحت الوهج الذهبي للمصباح.

***

لا نزال نسكن في الأماكن التي عشنا فيها لفترة طويلة بعد مغادرتنا لها. أثناء سيري بجوار الشقة التي كانت تعيش فيها صديقة لي مع عائلتها، لا يزال بإمكاني

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سماع صرخات أطفالها.

في كل مرة أسير فيها في شارع "رو دي سوفينير"، أحاول أن أمنع نفسي من الذهاب لدق جرس الشقة التي في الطابق الثاني، حيث عشت أنا وزوجي خلال أول خمس سنوات لنا معًا، مع القط "فيدو"، و"فندريدي" القط السيامي، والكلب "فيكتور". جزء مني مقتنع بأن "فريد" الشاب في الخامسة والعشرين من العمر، بوجهه المستدير ومن دون شعر رمادي، سيفتح لي الباب. نسخة أخرى منا تواصل العيش مع الكلب "فيكتور" في الكوخ بجوار الفندق المطل على البحر، في "كيب إليزابيث". في هذه اللحظة بالذات، حيث يرقد الكلب على البساط هناك، وأنفه بين كفوفه الكبيرة، ينتظرنا.

هذه النسخ منا في أماكن مختلفة تعيش كلها في الوقت نفسه.

أمضت "إيميلي" طفولتها المبكرة، وحياتها البالغة في"هومستيد"، والذي يشير اسمه إلى أنه كان تجسيدًا لما هو بيت، أكثر منه مجرد مسكن، مدفأة أكثر من مجرد موقد تشتعل فيه النار. وكيف تقول ذلك بالفرنسية، "maison" ليس لدينا كلمة أفضل لوصف المكان الذي لا نسكن فيه فقط، بل المكان الذي نعيش فيه، أو تبقى ذكرياته بداخلنا فيعد أكثر من مجرد مكان، تنبض الحياة بداخله.

***

في ذلك الوقت، كان لا يزال كثير من الزوار يأتون لـ"هومستيد" و"إيفرجرينز". يجذب المنزل رموز المجتمع من "أمهرست" وخارجها؛ المحامين، ورجال الأعمال، الأثرياء، والقساوسة، وحتى الصحافيين الذين يأتون للعب البيانو والغناء والدردشة بمرح.

كان "صامويل بولز" رجلًا مثل أي شخص آخر، لكن ما يميزه عن الآخرين أنه يمتلك صحيفة بارزة هي "سبرينجفيلد ريبابلك". لم تكن الصحيفة هي التي أعطته مكانته، بل لأنه زوج "ماري". وبالمثل، مكانتها كانت تقوم على أنها زوجة لرجل لامع. سرعان ما أصبحا زوارًا منتظمين للمنزل. وفعلت "إيميلي"، ما تفعله دائمًا مع أولئك الذين تحبهم والذين تود أن يحبونها، سرعان ما تبدأ في إرسال رسائل مفعمة بالحيوية والرقة والبرية، مثل الجراء.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في خطاباتها إلى أي منهما؛ تكتب "إيميلي" لكيان واحد هجين مكون منهما معًا، وهو وضع مألوف لها، وهو أن تجمع بين كيانين، لأنها تنقسم على نفسها باستمرار، إذ تحاول أن تعيش وأن تكتب عن الحياة في الوقت نفسه.

في خطاباتها يبدو الزوج والزوجة راقيين، ومتميزين من وجهة نظر الآخر، والتي تعمل مثل عدسة مكبرة. وجود وجهة النظر الثالثة في المحادثات والخطابات يعطى نوعًا من الطمأنينة، مثل الدرابزين الذي يتيح لك الاقتراب من الهاوية دون خوف من الوقوع فيها. هذا المتلقي الوهمي والهجين هو المتلقي الحقيقي لمعظم الرسائل التي تكتبها "إيميلي" بشكل محموم، على ضوء المصباح، لتكون روحانية بما يكفي لشخصين، وتحاول أن تسحر أحدهما من خلال الآخر، إنه حب مضاعف.

***

أينما تذهب "لافينيا" يتبعها قطيع من القطط. في هذا الصباح، يتبعها ثلاث.. قط كبير باللونين البرتقالي والأبيض، وقطة سوداء صغيرة تراها "إيميلي" لأول مرة، وقطة ذات بطن منتفخ توحي بأنها ستلد قريبًا.

يوجد دائمًا في المطبخ صحن حليب بارد تأتي قطط الحي للشرب منه، وبعد ذلك يقمن بالتمسح في تنانيرها. يمكن للمرء أن يقسم أن "لافينيا" ستطير من سعادتها بهم.

يحب "كارلو" - كلب "إيميلي" - أن يشرب الحليب من الطبق بلحسة واحدة من لسانه، بينما تنظر له القطط الصغيرة، وقد أصيبت بالصدمة بسبب تصرفاته السيئة.

ينام الكلب في نهاية سريرها. من حين لآخر، ترتعش شعيراته، يحلم أنه يطارد مخلوقات مرعبة. تضع "إيميلي" قدميها الباردة على جانبه الدافئ؛ تغرز أصابع قدميها في الفراء السميك. لماذا بحق السماء تحتاج إلى زوج؟!

تنام "لافينيا" محاطة بقططها الكبيرة والصغيرة، ليس لديها قط مفضل، إنها تحب فكرة القط اللطيفة في كل منهم، على اختلافاتهم.

***

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في حوض الاستحمام النحاسي، يطفو شعرها في كتل تبدو كشعب مرجانية سوداء. ذراعاها ورجلاها النحيفتان عبارة عن ثعابين بيضاء طويلة. تغرق تدريجيًا تحت الماء الدافئ، مليمتر واحد في كل مرة، حتى تغطي وجهها طبقة شفافة تشبه الجليد. تبقي عينيها مفتوحتين.

فوق الأربعين، "بائرة"، كما يقال عن الأرض القاحلة غير المنتجة، والأسماك التي لا تبيض، وجميع الأشياء التي تبقى على وضعها في حياتها، لن يبقى لها ذكر بعد موتها.

عارية، من دون ملابس، ثدييها مترهلين، وعيون صغيرة فارغة خلفها عروق زرقاء اللون، بطنها وجلدها مرتخيان على الرغم من أنها لم تحمل من قبل، ولم يكن بداخلها أي شيء، ساقاها وأعضائها الجنسية التي لم تتلق أي مداعبة من قبل، بخلاف لمسات الملاءة والوسائد أثناء نومها. المرأة البائرة عارية مثل الشجرة التي تجردت من أوراقها في الشتاء.

"إيميلي" ليست غبية. قصائدها ليست مصدر للمتاعب أو الانزعاج، بل هي - في أحسن الأحوال - مثل رقاقات الثلج.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الوقت لا يمر، يقف ثابتًا. تبدو الأيام متشابهة، وكل الأيام ما هي إلا يوم واحد. تعيش هي حياة كاملة في تلك الساعات ما بين شروق الشمس وغروبها. كل ليلة تموت موتًا صغيرًا. ومع ذلك؛ تستيقظ في اليوم التالي، مندهشة لوجودها هنا. لقد مُنحت فرصة أخرى، لكن ماذا تفعل بها؟!

تنهض، تذهب إلى النافذة. الطقس غائم، يتساقط المطر بغزارة، تاركًا بعض القطرات اللامعة على الأوراق. يرتفع الضباب من الحديقة، وتصطف الأشجار في ظلال شبحية. ترتجف، تلف كتفيها بشالها، تشعل النار التي انطفأت أثناء الليل. يطقطق الخشب، ويتطاير الشرر من المدخنة. من دون تفكير، تفتح درج مكتبها، وتخرج قطعة من الورق تضعها على أنفها، رائحة القصيدة مثل القرنفل.

Telegram:@mbooks90

***

لا تحتاج إلا لأشياء قليلة جدًا، لدرجة أنها يمكن أن تكون ميتة، أو ليست موجودة على الإطلاق.

***

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بينما هي تكتب، تمحو نفسها، تختفي خلف نصل العشب الذي لولاها لما رأيناه. إنها لا تكتب للتعبير عن نفسها، بل لتهلك الفكرة. الكلمة تجعلها تفكر في البلغم، وفي كلتا الحالتين يمكن أن تكون النتيجة مجرد بلغم لزج ومليء بالمخاط؛ إنها لا تكتب حتى يلاحظها الآخرون. تكتب لتشهد وتؤرخ:

"هنا عاشت زهرة، لمدة ثلاثة أيام في يوليو عام **18، قُتلت بسبب زخات المطر. كل قصيدة هي قبر صغير أقيم لذكرى شيء غير مرئي".

تتكون من لحم ودم وحبر. يتدفق الحبر عبر عروقها، الكلمات التي تكتبها هي دمها الحقيقي، تبدو وكأنها مستمدة من الخطوط الزرقاء الدقيقة التي ترتعش تحت جلدها.

تفكر في الشاعر الذي زار "ماونت هوليوك"، الذي أوضح رغبته في كتابة المشاعر التي تسكنه على الورق. كان مقتنعًا بشكل كريه بأن عالمه الداخلي يكون ممتعًا للغاية، لدرجة أنه دعا الآخرين للتجول فيه، للتفكير في أحواض الزهور الخاصة به وسلاسل الجبال.

لم يكن فقط عاجزًا عن كتابة الشعر الحقيقي، ولكن سعيدًا بهذا العجز، لم يكن قادرًا على رؤية أنه غير قادر، مثل شخص أصم منذ الولادة، وبعد أن رأى شخصًا ما ينقر على مفاتيح البيانو، أخذ يؤلف سوناتا بالنقر على المفاتيح السوداء والبيضاء بشكل عشوائي بنمط يرضي العين فقط. لن يعرف أبدًا ما لا يعرفه.

لكن هذا الرجل كان لديه أفكار يمكنك رؤيتها على الفور، كانت أكثر أهمية بالنسبة له من أي شيء آخر. قام بتغذيتها، وتصنيفها، وتربيتها، واستنشاق عطرها، وحث الآخرين على فعل الشيء نفسه.

تكتب "إيميلي" عن العالم الذي تعيش فيه، مع العلم أنه سيكون أجمل لو كان غير مأهول بالسكان.

***

تأتي كلمة مؤلف، من اللاتينية "augere".. بمعنى أن تزيد. والمؤلف يضيف.

على الجانب الآخر من النافذة، تنمو حديقة الزهور في الهواء الطلق، وتشبه

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الحديقة الورقية التي تزرعها "إيميلي" خلال فصل الشتاء.

تجلس إلى طاولتها أمام نافذتها، وتكتب صورة الحديقة الباهتة التي لا يزال بإمكانها رؤيتها - هي فقط - تحت الثلج، وهو نص انمحى نصفه، تحدق به لفك شفرته قبل أن يختفي تمامًا. تغرب الشمس مبكرًا، بداية من الساعة الثالثة، تستلقي الظلال على الأرض لتتلاشى، والأرض عبارة عن غابة ممتدة، تصبح مسطحة بين صفحات معشبة عملاقة. تستمر في غمس قلمها في المحبرة على الرغم من أنها لم تعد قادرة على رسم الصور سواء من الداخل أو الخارج.

تشم رائحة الحساء وتسمع صوت أدوات المائدة تتصاعد من المطبخ. حتى في وسط كل هذا الأبيض، تحتاج أن تأكل. من بين الزنابق وأزهار الـ"زنيا" المتخيلة، تنبثق فرقة من اللفت الأجعد وكتيبة من البطاطا الصفراء، يقودها كرنب فقد جزءًا من رأسه. لا يتطلب الأمر أكثر من ذلك حتى تبدأ الحديقة الورقية في النمو الجامح، وتكتظ بالأعشاب البرية، الشعثاء، التي تستخدمها "إيميلي" لصنع أكاليل الزهور بدلًا من إزالتها.

تكتب، تخط، تحفر في الأرض، تنبش، وتمحو. تنظر إلى الأشجار في الخارج ولا تستطيع رؤيتها، في الظلام تتحول النافذة لمرآة.

تعنى كلمة المؤلف أيضًا باللاتينية "auctor" بمعنى "الرب"، وهي كلمة لا تعرف معناها. من يحتاج إلى رب عندما يكون هناك نحل؟

كيف يمكن للآخرين القيام بشؤونهم، كبيرة كانت أم صغيرة، أو يشغلون وظائف، ويخيطون الفساتين، وينجبون الأطفال، ويذهبون في نزهات؟ كيف ينزعون أنفسهم بعيدًا عن هذا الاختطاف الذي يسيطر عليها عندما تنظر من النافذة؟ ألا ترى عيونهم نفس الشيء مثلها؟ ربما نوافذهم ليست نظيفة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

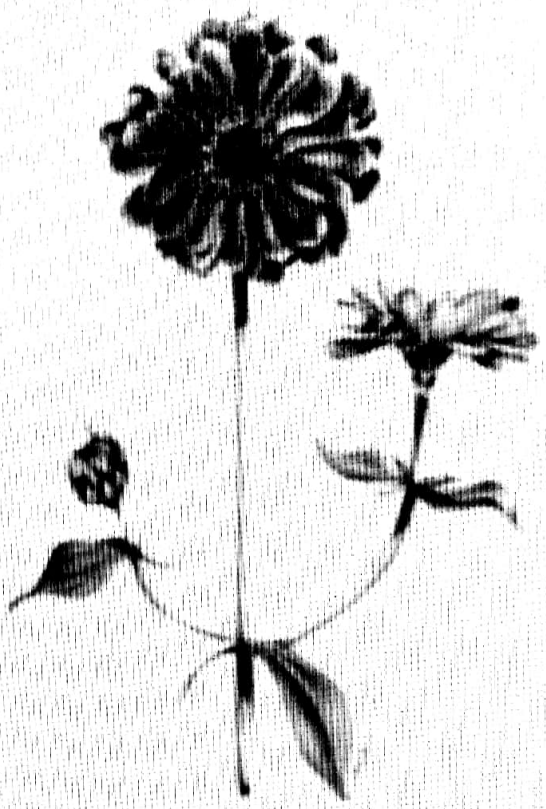

تجلسان في المطبخ، "إيميلي" و"لافينيا" تفصصان البازلاء التي تتدحرج مثل الكرات بين أصابعهما. على أحد الجانبين وعاء حجري مملوء بقليل من حبات البازلاء الخضراء المستديرة، أما الهياكل الفارغة فمكدسة على قطعة قماش نظيفة. قالت "لافينيا" فجأة:

- إذا كان بإمكاني أكل نوع خضار واحدٍ فقط طوال حياتي، فستكون البازلاء.

توافق "إيميلي" على ذلك، ليس لأنها تحب البازلاء، لكن فكرة تناول شيء واحد فقط طوال حياتها تبدو مريحة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يتفق الجميع على أن "إيميلي ديكنسون" لديها أخت واحدة فقط، "لافينيا"، المعروفة باسم "فيني"، والتي وُلدت بعد عامين من شقيقتها الكبرى. لكن في الواقع؛ لديها ثلاث شقيقات أخريات، مختبئات في غرفة نومها وهنّ.. "آن"، "شارلوت"، و"إيميلي"، أخرى مثلها. تعيش الشقيقات "برونتي" في وئام مع بقية أفراد عائلة "إيميلي".. "براوننج" و"إيمرسون" و"ثورو".

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لا تفضل "إيميلي" الذهاب إلى القداس، لكنها تنحني على ركبتيها كل صباح أمام الزهور. إنها لا تحب إزالة الأعشاب الضارة أو النباتات التي لا تحظى بالأهمية نفسها التي تحظى بها النباتات الأخرى، وتسمح لها بالنمو وسط تلك التي زرعتها. زرعت

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نصف الحديقة فقط والنصف الآخر من عمل النحل.

تحيي "إيميلي" كل نبتة بالاسم، كما لو كانت تنادي فتياتٍ صغيراتٍ مرتدياتٍ ألوانًا هادئة.. "إيريس"، "روز"، "كارولينا"، "ليلى"، "ديزي"، "داليا"، "ياسمين". وترد عليها الأزهار بإعطائها اسمها الخاص.. "إيميلي"، "أيمولا"، المنافسة. إنها أكثر بياضًا من الزنابق. "إيميلي"، غائبة عن كل الولائم الأرضية.

***

في بلدة "سكاربورو"، التي تقع على حافة المحيط الأطلسي، يوجد طريق يعد من أجمل الطرق في "نيو إنجلاند". توجد به منازل كبيرة شاحبة تواجه المحيط، أسقفها مصنوعة من ألواح خشب الأرز، ونوافذها تعكس السماء أو البحر.

يمتد المحيط أمامها، لأبعد ما تستطيع العين أن ترى، وراء الكثبان الرملية والشاطئ ذي الرمال الناعمة التي تشبه السكر الذهبي؛ خلفهم، وراء الطريق، لا يوجد سوى الغابات والمستنقعات. تقف هذه المنازل على الحدود بين نوعين من البرية، والتي تعتبر التعريف الدقيق للبيت.. الملاذ، والمأوى، والميناء، والملجأ.

لا يمكنني العيش هناك أبدًا، اسم الطريق "طريق المذبحة". ليس لأنني خائفة من شبح "ريتشارد ذي العين المجنونة ستونوال"، الذي يقال إنه يسكن المنطقة منذ دُفن هناك عام 1697، انتقامًا لزوجته وطفله الرضيع، الذين ذبحهما الأمريكيون الأصليون قبل سنوات. كما أنني لا أخشى أشباح عشرات المستعمرين الذين حاولوا وفشلوا في الدفاع عن منطقة "بروتس نيك" ضد هجمات الأمريكيين الأصليين، والذين مات منهم ثمانية عشر في عام 1703.

لكني لا أستطيع قراءة كلمة "مذبحة" عشر مرات في اليوم، على المظاريف الواردة والصادرة، والاستمارات، وإيصالات التسليم، وخرائط الطريق. لا أستطيع قول اسم الطريق للأصدقاء والعائلة الذين يأتون للزيارة، أو تهجئتها للبائعين، وتكرارها عشر مرات في الأسبوع.

يبدو أن ما يزعجني أكثر من المجزرة، أو المجازر، هو أن الاسم قد حل محلها - وبطريقة ما طمسها – وانتشر، وهذا يعني - بطريقة ما - استمرار المذبحة. بالنسبة لي، كل الشوارع هي في الأساس شوارع ورقية.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المنزل الذي وجدناه ليس بعيدًا عن هناك، يقع أيضًا في مواجهة المحيط، في قرية تحمل فيها الشوارع أسماء مثل.. "صدفة، لؤلؤة، حطام سفينة، مساء، صباح".

عندما دخلت من الباب، عرفت أننا في البيت المنشود. بمجرد دخولك، ترى المحيط والسماء من خلال نوافذ غرفة الطعام الكبيرة. ترى المنظر نفسه من غرفة النوم في الطابق الثاني.. الرمال والماء والسماء، وإلى اليمين، وفي المدى تتقلص المنازل الملتوية المصنوعة من خشب الأرز في شارع "باي ستريت". وبالكاد ترى ما وراء "بروتس نيك" في الأفق، في منطقة "بيدفورد" غير الملفتة للنظر، كأنك تنظر إلى الساحل من أعلى منارة.

***

كان لدينا الأثاث، وكذلك صناديق الأشياء التي اشتريناها لشقة "بوسطن" وتركناها في المخزن لمدة عامين، استعدناها بعد أن عدنا إلى موطننا في "أوترمونت" مرة أخرى، ليصبح لنا بيت ثانٍ على الساحل.

فككت كل شيء ببعض الدهشة، كما لو أن هذه الأشياء كلها تخص غرباء. لعدة أشهر؛ أصبحت لدينا هذه الحياة الغامضة الأخرى. وجدتُ في أحد الصناديق سلة لرمي الحفاضات. في صندوق آخر، هناك لوازم لغسيل زجاجات رضاعة الأطفال.. فرش، ورف تجفيف، وصابون. نظرت إلى ابنتي التي تلعب بين الصناديق التي تملأ غرفة المعيشة. تبلغ من العمر ثلاث سنوات. لم يعد هناك وجود للطفلة التي كانت لها كل هذه الأشياء.

كان تمثال صرصور الحقل واللوحة الصغيرة في الصندوق الأخير. لم يكن عنوان اللوحة هو "الشمال الحقيقي"، كما كنت أعتقد، ولكن "السمت الحقيقي"، وهو أمر مختلف، "السمت" هو قياس الزاوية بين اتجاه كائن معين واتجاه مرجعي، وغالبًا ما يكون الشمال مغناطيسيًا. إنه اختلاف جوهري، خط مائل، موجود فقط فيما يتعلق بشيء آخر يبتعد عنه.

كتبت "إيميلي ديكنسون"، والتي كرهت السفر هي أيضًا:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

"قل كل الحقيقة ولكن قلها بشكل مائل".

وضعت تمثال صرصور الحقل فوق المدفأة. لقد وجد مكانه أخيرًا.

***

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يُعتبر الأثاث المصنوع من خشب الماهوجني شريك جيد.. صلب ومخلص وصامت. على الجدران رُسمت الورود، أبناء عمومة ورود الحديقة المساكين، لكن يفتقرون إلى العطر، والبتلات المخملية، وندى الصباح، بالإضافة إلى ذلك.. نسي الفنان رسم الأشواك.

تدور "إيميلي" على جميع النوافذ للتأكد من أنها مفتوحة قليلًا، بمقدار إصبعين، وليس ثلاثة، بما يكفي للسماح بدخول رائحة زنبق الوادي، ولكن ليس رائحة الظربان. تسحب الستائر قليلًا. يكاد القمر أن يصبح بدرًا، يبدو كعملة فضية يظهر ثلاثة أرباعها.

سمحت لإحدى قطط "لافينيا" بالخروج، كانت تتسكع على كرسي المطبخ، بالقرب من طبق الزبدة. تسوي الكتب ذات الحواف المذهبة على المدفأة، ثم تركع للتأكد من أن دفء الجمر.

تضع المصباح الزيتي وإبريق الماء وقصائد "إيمرسون" على المائدة المجاورة للسرير. بإصبع قدمها تتحسس أصص الزرع الموجودة تحت السرير، عندما تغلق باب غرفتها؛ تشعر بأنها أغلقت باب الكون، وتستعد للإبحار في عالمها الخاص.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

***

عندما تستيقظ في الليل لتغلق النافذة، يصدر البلاط صريرًا هادئًا تحت قدميها. إنها تعرف هذه النغمة المميزة ودرجاتها.. "دو، ري، مي، فا، صول، لا، سي، دو".

غالبًا ما تستيقظ لتكتب الرسائل التي لم تستطع كتابتها أثناء النهار. تكتب رسائل من عشرة أو ثمانية أو سبعة أسطر، خفيفة، كما لو كان مقدرًا لهذه القصائد أن تحملها العصافير.

يهيد خدش ريشة الإوزة على الورقة إلى الأذهان صوت الفأر وهو يقشر الجوز للوصول إلى الثمرة التي في قلبه. يرافق الصوت ضوء المصباح، بينما البيت نائم، في فترة السحر التي تفصل الليل عن الصباح. لا تشعر "إيميلي" بالوحدة بقدر ما تشعر بها في الساعات التي تقضيها منحنيةً على الورق، وريشة الإوزة في يدها، والفأر الوهمي في الزاوية، وزيت مصباحها المأخوذ من حوت عملاق، والحبر.. الحبر الذي يأتي من بطن مخلوق رائع يعيش تحت الماء له ثمانية أذرع. قبل كتابة أي شيء، فإن الحبر نفسه يثير الدهشة بالفعل.

***

لم يتم نشر سوى عدد قليل من قصائدها في حياتها، في أغلب الأحيان من دون اسم، بعد تحريرها بشكل كبير. قررت منذ فترة طويلة أن الكتابة ليست مجرد فعل لازم، بل غاية في حد ذاتها. لماذا ننشر، إن لم يكن من أجل الرضا المتمثل في رؤية اسم الشخص مطبوعًا على كتاب أو صحيفة؟ باستخدام الأحرف الرئيسية نفسها التي كتبت أسماء "بايرون" و"شكسبير". من أجل المتعة الفارغة المتمثلة في معرفة أن مئات الآلاف من العيون الغريبة ستستقر، بلا مبالاة أو فضول، على كلماتك، والتي لا يمكن أن تأتي إلا من خلال هذه المحنة ملطخة أو مهترئة.

هل يكتب الكتّاب للآخرين؟ هذه الكائنات الحقيقية التي تتجسس عليها "إيميلي" من خلال نافذتها، وهي تمارس أعمالهم.. قيادة العاملين معهم، وإبرام العقود، وتجارة الماشية، وبيع الأقمشة؟ أم يكتبون من أجل فكرة الآخر؟ بلا جسد أو سيادة، الآخر الذي تبنيه الروح مثل مرآة مكبرة، كما تحلم هي نفسها!

طالما تخيلت "إيميلي" هذا **القارئ**، كما تخيلت معظم الفتيات في "ماونت

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هوليوك" أميرهن الساحر أو خطيبهن الغني. إنها ترى أن هذا السيد يتفوق عليها في كل شيء.. أكثر استنارة، وأنبل، وأعظم. هو الوحيد الذي يعرف كيف يقدر شعرها حقًا. اتضح أنه رئيس تحرير مجلة تنشر الشعر، لا يهم. أثناء ذلك، تتراكم قصائدها المكتوبة على أغلفة العبوات والبطاقات والأظرف في أدراجها، لتشكل قلاعًا ورقية هشة.

***

- "إيميلي"! هناك مفاجأة لك.

من لهجة "لافينيا"، تفترض أنها لا بد أن تكون رسالة، ربما مصاحبة لهدية ما، ربما كتاب؟ تغادر غرفة نومها وقلبها ينبض، وفي ثلاث خطوات تكون في أعلى السلم عندما تسمع صوت الضيف. تقول "لافينيا":

- أتى شخص ما لرؤيتك!

ينقبض قلبها وتتسارع دقاته كما لو أنه يتعرض للخيانة. إنها مفاجأة بالفعل، لكنها مفاجأة مروعة. أرادت أن تكون رسالة لتفتح الظرف برفق بمفردها في صمت غرفة نومها. تخرج الورقة، تشم رائحتها قبل أن تقرأها، ثم تنظر إليها. تمسح الكلمات بعينيها مرة، مرتين، وتعيد قراءتها بشكل غير منتظم، وهي مستلقية تحمل الرسالة بالقرب من صدرها وتستمر الكلمات بالرفرفة خلف عينيها المغمضتين. والآن، مطلوب منها أن تواجه شخصًا ما في الواقع، لا شك أن حذاءه لا يزال مغطى بالطين من الطريق، وسيتعين عليها أن تبتسم، وتطرح الأسئلة، وتتظاهر بالاستماع إلى الإجابات، بينما تنتظر طوال الوقت المتعة التي تجدها بمفردها عندما تكتب له أو تعيد قراءة إحدى رسائله القديمة.

على رؤوس أصابعها؛ تعود إلى غرفة نومها، تتأكد من أن ألواح الأرضية لا تصدر صريرًا. تغلق الباب خلفها. ينظر "كارلو" إلى سيدته. تتميز الكلاب بميزة كبيرة عن الإنسان، ميزة لا يتمتع بها الإنسان.. فهي لا تتكلم.

- لقد استمتعت كثيرًا برسائلك القصيرة.

يبدأ الرجل الذي وقف خارج بابها حديثه. ارتكبت خطأ بإرسالها بعض قصائدها

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

له، عرفت ذلك بمجرد أن فتح فمه الكبير والمليء بأسنان كثيرة. كانت تأمل، ليس أن ينشرها، بل أن يرى قصائدها على حقيقتها.

أومأت برأسها موافقة، في لفتة خالية من المعنى مثل كلمات الرجل المهذبة وهو يتحدث إليها.

كيف ظنت أنه سيكون قادرًا على قراءة أعمالها؟ والأهم من ذلك.. كيف لا يشبه الرجال صورهم ومقالاتهم ورسائلهم؟ لكن "إيميلي" تعرف إجابة السؤال.. لقد أصبحت مغرمة بالكائنات الورقية، التي لا علاقة لهم بالأشخاص الحقيقيين الذين تكتشفهم أو تلتقي بهم بعد ذلك في حياتها، الرجال بأحذيتهم، وشواربهم، والربو، ورائحة الثوم، والحمالات.

لسنوات عديدة؛ حاولت تحويل نفسها إلى مخلوق ورقي، أن تتوقف عن الأكل والتعرق والنزيف، لتصبح شخصًا يقرأ ويكتب فقط.

يتنحنح الرجل الذي يقف أمامها. تفكر: "هل من السابق لأوانه أن أشكره على زيارته وأعود لغرفتي؟". يقول:

- هناك بالفعل صور مثيرة للاهتمام، على الرغم من أن الكتابات في بعض الأحيان.. كيف يمكن أن أقول ذلك؟

إنها تريد إنقاذه من هذا الموقف، يبدو أنه غير مرتاح تمامًا، لكنها غاضبة، ليس منه بقدر ما هي غاضبة من نفسها، لأنها سمحت لنفسها مرة أخرى، بحماقة، أن يكون لديها أمل.

- غامضة بعض الشيء، أو معقدة؟ هل تحتاج شابة مثلك حقًا إلى الاعتماد على المفردات العلمية؟ وماذا يعني بالضبط محيط الدائرة؟ هل تحتاجين حقًا إلى استخدام البديهيات وفقه اللغة؟ أليس من الأفضل الحديث عن المشاعر بدلًا من الرياضيات؟!

يبدو أن صمت "إيميلي" شجعه على أن يكمل كلامه. وتابع بلهجة يأمل أن تكون حسنة النية:

- وكتاباتك، لماذا تسميها شعرًا إذا كانت نثرًا؟

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كان هذا كثير جدًا. تبدأ "إيميلي" في الرد عليه وهي مضطربة:

- ما الذي جعلك تقول هذا؟

صوتها متماسك. شعر بالحرج وأخذ يحك ذقنه حيث تنمو بعض الشعرات الكثيفة. كيف لها أن تنسى أن الرجال حيوانات مشعرة؟

- حسنًا، بكل بساطة، لأنه لا توجد قافية.

هذا يكفي. في لمح البصر؛ تتذكر "إيميلي" درسًا من السيدة "ليون" حول القوافي المثالية وغير الكاملة.. قبعة، قطة، طبق، سمك. الحب، القلب. منتهى الحماقة، إنها لا تهتم بالكمال أو النقص، لا تعرف قوافي أخرى غير تلك المائلة أو المعلقة، كما ينبغي لها أن تكون. تنهض بهدوء وتومئ بالتحية لزائرها وتغادر. لأنه لا توجد قافية. لا يسعها سوى أن تبتسم.

***

العالم.. العالم صغير مثل برتقالة. معقد بشكل لا يصدق.. وبسيط للغاية. يمكن استبدال العالم وإعادة إنشائه والقضاء عليه بالكلمات. إنه موجود على الجانب الآخر من النافذة، وهي طريقة أخرى لنقول إنه غير موجود على الإطلاق.

ما الموجود؟ لهب الشمعة، الكلب عند قدميها، الملاءة القطنية على السرير، زهور الياسمين المضغوطة بين صفحات الكتب، النوم بين كلمتي أقحوان ونهار، الجمر في الموقد، القصائد التي تنبض في الدرج.

العالم أسود وغرفة النوم بيضاء. الشِعر هو الذي يضيئه.

***

تدق الخيّاطة جرس الباب في الوقت المحدد. كانت تنتظرها، وفي بضع خطوات فتحت الباب. الشاي على الطاولة. تتبادل المرأتان المجاملات، الحديث عن الأحياء والأموات والمولود الجديد؛ لم يتقابلا منذ أشهر. ثم تصعدان إلى الطابق العلوي.

- ربما تريدين شيئًا مختلفًا هذا العام؟

تسألها الخياطة وهي تضع شريط القياس والقماش والطباشير وقلم الرصاص

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وبعض المناديل الورقية.

- لا، أنا أريد الشيء نفسه بالضبط.

تنظر الخياطة لأعلى. تخلع زبونتها ملابسها خلف ساتر ياباني عليه ذيول طواويس. يمكنها فقط رؤية الجزء العلوي من رأسها وذراعيها الشاحبتين اللتين ترتفعان لخلع ثوبها. تقول:

- ربما قليل من الألوان؟

تخرج المرأة من خلف الساتر مرتدية مشدًا وثوبًا داخليًا. تسرع الخياطة إلى أخذ مقاساتها.. الكتفين، الصدر، الخصر، الوركين، الذراعين، الظهر، كلها قياسات العام الماضي نفسها.

- أبيض فقط. ثلاثة من الثوب نفسه.. الأبيض.

- الثلاثة باللون الأبيض؟

تستسلم الخياطة نادمة، كما لو أنه طُلب منها أن تفعل شيئًا مخالفًا لفنها. تؤكد المرأة أن الثلاثة أثوبة باللون الأبيض، وهي ترتدي ملابسها مرة أخرى بالفعل.

تتنهد الخياطة وهي تضع أدواتها جانبًا. تأخذ رشفة من الشاي الذي بالكاد يدفئها. ترافقها "لافينيا" إلى الباب، بينما لم تغادر "إيميلي" غرفة نومها في الطابق العلوي. ستكون الفساتين واسعة بعض الشيء من عند الصدر، وستكون الأكمام قصيرة جدًا، لأنها وأختها ليسا بالمقاس نفسها تمامًا.

Telegram:@mbooks90

إذا استطاعت أيضًا أن تتأكد من أن "لافينيا" محبوبة بدلًا منها، فستكون حرة تمامًا.

***

تتلوى الأشجار في مهب الريح مثل النيران. تود "إيميلي" أن ترى يد الرب العظيمة، ليتنازل للحظة ويحول انتباهه إلى الأرض. ولكن عندما تنظر لأعلى.. لا ترى إلا أن الليل قد حل.

يستغرق الأمر بعض الوقت لتلاحظ أن الضوء أصبح خافتًا، وتستغرق وقتًا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أطول لتتقبل أن ذلك بسبب ضعف بصرها، وليس فقط ثمرة خيالها أو لأن المصابيح ليست مضيئة بدرجة كافية. لكن الألم الذي لا يمكن تجاهله يبقيها مستيقظة طوال الليل.

يحيلها طبيب "أمهرست" إلى أخصائي، طبيب عيون في "بوسطن" – العاصمة - في رحلة مدتها ست ساعات، نهاية العالم.

***

في غرفة الانتظار المجاورة لمكتب الطبيب؛ تنتظر ثلاث نساء من مجتمع "بوسطن" الراقي، متشابهات للغاية لدرجة أنهن قد يكن أبناء عمومة، أو حتى أخوات، بفكهن المربع، وعيونهن الزرقاء، وابتساماتهن المهذبة، وملابسهن الخالية من العيوب.

تشعر "إيميلي" وكأنها غريبة في كل مكان في هذه المدينة، تشعر أكثر من أي وقت مضى بالغربة، كأنها كلب بين مجموعة من القطط.

يُفتح الباب؛ إنه دورها. الطبيب قصير القامة، يرتدي نظارات مستديرة، أصلع، ولديه كرش صغير. إنه مرعب حقًا.

يفحص "إيميلي" ويطرح أسئلته ويستمع إلى صدرها. تحاول بجهد أن تصف الألم. لا تسعفها الكلمات. يسلط ضوءًا في عينيها، ويطلب منها أن تقرأ صفوفًا من الحروف التي لا معنى لها، والتي تزداد صغرًا، ثم يفحصها مرة أخرى، هذه المرة دون أن يتكلم.

إنها تنتظر حكمه مثل نصل المقصلة.

- لا أعتقد..

قال الطبيب ثم سعل بهدوء، وأكمل:

- لا أعتقد أنك ستفقدين بصرك.

تطلق "إيميلي" زفيرًا. ويضيف:

- المشكلة وصلت إلى مرحلة متقدمة جدًا، وعيناك في حاجة ماسة إلى الراحة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إذا كنت تريدين أن يصبح لديكِ أي أمل في الشفاء، عليكِ أن تتوقفي عن القراءة والكتابة لمدة شهرين، أو ربما ثلاثة أشهر.

تتوقف "إيميلي" عن التنفس. تستعيد بصرها، تحاول أن تتنفس. لكنها تفشل.

- أنصحك بعدم السفر خلال هذه الفترة. سيكون من الأفضل لكِ أن تبقى هنا في "بوسطن".

تعود إلى منزل أبناء عمومتها بقلبٍ مثقل، مجبرة نفسها على عدم قراءة ما هو مكتوب على اللافتات أو على واجهات المتاجر.. لتمارس تجربة العيش بلا كلمات.. بعيدًا عن المنزل.. ومن دون كتب؛ تقضي "إيميلي" شهرين في الظلام، في منفى قاسٍ.

عندما تعود إلى "أمهرست "أخيرًا، تصعد السلم كل أربع درجات معًا، وتغلق باب غرفة نومها خلفها، وتفتح مسرحيات "شكسبير".

أخيرًا عادت إلى المنزل.

***

عندما كانت طفلة، كانت سعيدة بوضع الزهور في الكتب التي كتبها الآخرون. ولكن عندما كبرت، أصبحت تواجه تحديات أكبر.. الطيور والسحب المرسومة على صفحة بيضاء، تظل تهدد بالطيران بعيدًا، لتتركك وحدك مع رغبتك.

في أحد الأيام، قررت أن تضع بعضًا مِن قصائدها في ظرف موجه إلى "توماس وينتورث هيجينسون"، مصحوبًا بهذا الرجاء: "هل أنت منشغل جدًا لدرجة أنك لا تستطيع أن تخبرني ما إذا كان شعري جيدًا؟".

يمكن للمرء أن يتخيل الرجل وهو يفك رموزها، مندهشًا، ثم يزن إجابته بعناية. عندما يسألها في رسالة: "من هم أصدقاؤها؟". تجيب "إيميلي": **"التلال يا سيدي، وغروب الشمس، وكلب كبير مثلي، اشتراه لي والدي، وبالطبع نهاية العالم".**

***

"لا تنشري".

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قال لها "هيجينسون"، بعد أن قرأ شعرها، وهذه النصيحة التي قد تفزع الكثيرين، أسعدتها. قالت في نفسها "أنشر، من أجل ماذا؟".

إنها لا تريد - ولم ترغب أبدًا - في تأليف كتب ثقيلة وأبدية تفوح منها رائحة السيجار والاختناق. القصائد القليلة التي أرسلتها إلى العالم ظهرت على صفحات الصحف الواهية، التي تعيش يومًا واحدًا فقط، سريعة الزوال.

تكتب على الورق، لكن ذلك لأنها لم تكن قادرة أبدًا على تجميع ألبوم كبير بما يكفي لاحتواء زخات الربيع ورياح الخريف، فلا توجد معشبة للثلج. إنها تحلم بقصائد تكتبها مع الحشرات، والتي ستبدأ بالتجول على أرجلها الطويلة، وقشورها تلمع مثل الدروع أمام السيدات المعتدات بأنفسهن واللائقات بشكل غير عادي، واللاتي يصرخن عندما يرون خنفساء. لا شك أن الخنافس تصرخ أيضًا عند رؤية التنورات الضخمة.. هذه التي تعلوها المظلات، لكن لا يمكن سماعها.. ربما لأن الحشرات لديها مشاعر حقيقية.

تحلم بقصائد يمكن قراءتها في النجوم، لو تمكنًا أخيرًا من تعلم لغة المجموعات النجمية الخافتة. إنها تحلم بقصائد غنائية، معقدة للدوائر والمحيطات الرياضية. تحلم بسونات ذهبية يقتفي النحل أثرها في العسل. تحلم بالقصائد التي كان سيكتبها الرب لتمضية الوقت، في اليوم السابع من الخلق، لو كان موجودًا بالفعل.

" لا تنشري.. كتابتك ثقيلة جدًا.. احتفظي بها لنفسك وحدك، وربما لي".

***

يظهر مخلوق صغير.. يبدو أنه يطير بخفة فوق الأرض ولا يسير.. يتساءل الرجل للحظة عمَّا إذا كانت تسير على عجلات؟ بالنظر إلى مدى سرعة وسلاسة تقدمها. ترتدي ملابس بيضاء ولها وجه نحيف وعينان لامعتان وحركات متكلفة قليلًا. تحمل في كل يد مجموعة من الورود البيضاء تقدمها له وتهمس:

- من أجل التعارف.

لا يعرف كيف يرد، يقف هناك، والزهور الكبيرة في يديه، بينما تنظر إليه، ووجهها مائل قليلًا، مثل طائر يستعد للطيران. ينحني ليحييها. عندما يستقيم،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تكون قد ذهبت.

وفي ذلك المساء؛ يشرح تفاصيل اللقاء في رسالة إلى زوجته، تحذره لأنه لم يحتفظ بالزهور.

***

يعتبر"هيجينسون" رجل حكيم، ولكن في كثير من الأحيان تكره الأشخاص الحكماء. تفضل "إيميلي" صحبة الفراشات والجراد والكتب، فهي أيضًا حكيمة، ولكنها هادئة. لا تثقل عليك بحكمتها، فقط تنتظرك عندما تكون مستعدًا لإدراك تلك الحكمة.

***

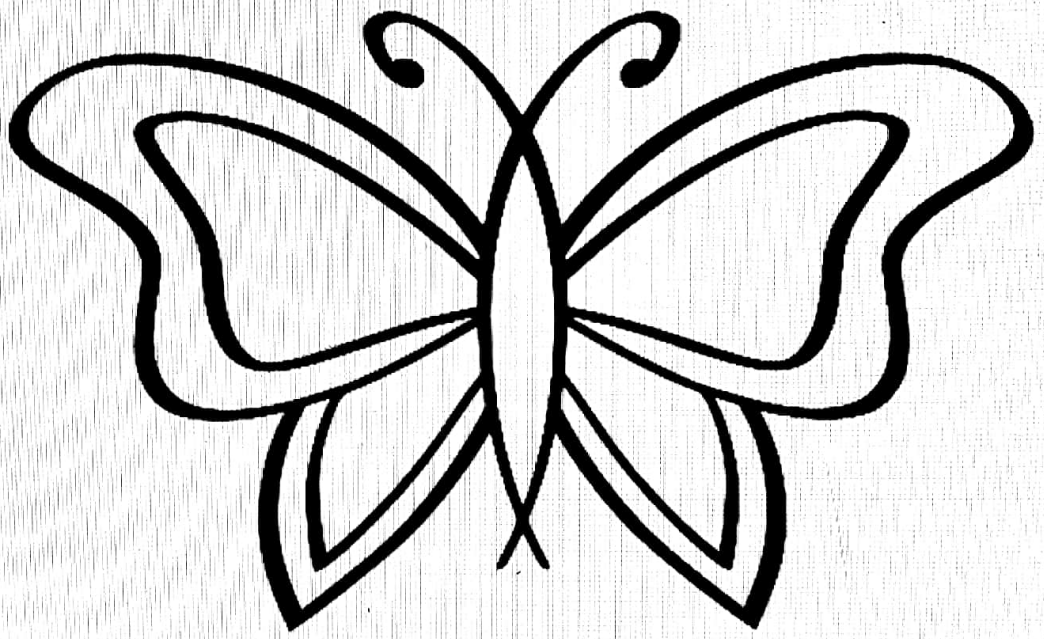

يتخيل هذه القصائد التي تسميها "الثلج" مثل ندفة ثلج رقيقة يحملها الهواء، هشة بشكل خارق للطبيعة، مثل أرقى أنواع الدانتيل، لكنها مصنوعة من الكلمات. عندما كتبت "إيميلي" "الثلج"، رأت في عين عقلها أقوى انهيار جليدي.

***

تخرج في صمت عندما يكون المنزل نائمًا. الشارع هادئ تحت الأشجار العالية. تمشي لبضع دقائق، وتصل أمام منزله. هناك مصباح مضيء في نافذة غرفة نومه. تدخل دون أن تطرق الباب.

يخلع ملابسها ببطء، ويزيل طبقة بعد طبقة، مشد الصدر الذي يثقل كاهل النساء، يخلع عنها ملابسها كأنه يقشر بصلة.. التنورة، والملابس الداخلية، والمشد، والقميص.

يقبل كتفيها وثدييها وبطنها ببطء. تخلع عنه ملابسه بدورها. يلتفان حول بعضهما بعضًا تحت اللحاف دون أن يطفئا الشمعة. تمتزج روائحهما المألوفة في رائحة واحدة قوية، حلوة ولاذعة، رائحة الفراء الرطب. إنهما يعرفان بعضهما كما يعرف الماء الأرض.

وعندما ينتهيا تمسح فخذها. يسألها للمرة المائة:

- هل تتزوجينني؟

للمرة المائة تجيب "لافينيا":

- لا.

لديها بالفعل ما يكفي لتفعله.

***

تجلس "إيميلي" على كرسيها أمام النافذة. لا يحدث شيء تقريبًا. السماء، والأشجار، منزل "إيفرجرينز" ليس ببعيد، وصوت نقيق صراصير الحقل. يحل الليل. كل شيء مغمور بالحبر. يظهر القمر منحنيًا في منتصف السماء. يتمزق قلبها ببطء في صدرها. لا يحدث شيء تقريبًا.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ما زلت لا أعرف ما إذا كنت سأذهب لزيارة "هومستيد"؟ بينما أحاول أن أتخيل الجدران بورق حائط عليه أزهار، والأرضيات التي تصدر صريرًا، والنوافذ في الطابق الثاني المطلة على الشارع الرئيس، وحديقة نوفمبر.

لو أنني في نهاية الجولة، بدلًا من اتباع الدليل بشكل منطقي، سأختبئ تحت السرير، أو خلف الباب، وسأظل مختبئة حتى المساء، في انتظار رحيل الجميع عن المنزل، لأخرج من مكان اختبائي، وأذهب إلى النافذة في الظلام، وأراقب بقايا الحديقة المتجمدة من أول صقيع في الخريف، ثم يصبح الليل كله لي وحدي.

ما الذي تنتظره "إيميلي" في سن الثلاثين أو الأربعين أو الخمسين؟ حب؟ إله؟ طائر أزرق؟ شخص سيقرأ أخيرًا قصائدها بالطريقة التي تحلم أن تُقرأ بها؟ أم الموت؟ الذي تبعده كل يوم بكتابة بضع كلمات أخرى، تعويذات هشة تخلق ومضات صغيرة، يراعات في الظلام.

كتبت إيميلي: " **عملي هو المحيط**". ويبدو أنها تتأرجح باستمرار على حافة الأشياء، بئر أو هاوية، بين عالم وآخر، على العتبة بين القصيدة وما لا يمكن وصفه، تفاحة في اليد، وقدم في القبر.

***

تُحفظ مخطوطات "إيميلي ديكنسون" في مكتبة "هوتون" بجامعة "هارفارد"، حيث لا يمكنك رؤيتها فعليًا، ولكن يمكنك أن تطلع عليها إلكترونيًا من خلال الإيميل، بالإضافة إلى نسخ من الرسائل التي أرسلتها لبعض معارفها. هناك أيضًا غرفة تسمى غرفة "ديكنسون"، والتي تحتوي على مجموعة من الأشياء - أثاث وكتب وسجاد - كانت مملوكة للعائلة. يمكنك زيارة الغرفة - وهي ليست غرفة نوم حقيقية - كل يوم جمعة الساعة الثانية بعد الظهر.

رؤية المعشبة أمر غير وارد، فهي هشة للغاية. أوراق الأشجار، مثل أوراق الكتاب، يمكن أن تتحول إلى غبار. توفر المكتبة نُسخًا طبق الأصل ونُسخًا مشابهة.

أثناء إقامتنا في "بوسطن"، ذهبنا مرتين لزيارة جامعة "هارفارد". تبدو مظللة بالأشجار الناضجة، مبانيها بالطوب الأحمر، مألوفة جدًا من الأفلام، لدرجة أنك تشعر وكأنك تتجول في موقع تصوير فيلم وهناك ممثلون تمت الاستعانة بهم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ليلعبوا دور الطلاب. وحتى نبات اللبلاب الملتصق بالمباني - والذي أطلق اسمه على جامعات رابطة "آيفي" المرموقة ومن بينها جامعات "هارفارد" و"ييل" و"برينستون" و"دارتموث" - يبدو أنه وُضع هناك لإضافة اللون.

في المرة الأولى التي زرتها فيها، انتهى بي الأمر باللجوء إلى مكتبة الحرم الجامعي الضخمة، ذات الرفوف الممتدة من الأرض حتى السقف. ورغم أن كل شيء في المكان بدا غير حقيقي، إلا أن الكتب وحدها كانت حقيقية.

***

كنت في الخامسة والعشرين من عمري عندما أرسلت لقضاء بضعة أيام في "أوتاوا" للاطلاع على مخطوطات الكاتبة الكندية "جابرييل روي"، المحفوظة في أرشيفات المكتبة الوطنية. تم تعييني للعمل مع فريق صغير من طلاب الماجستير والدكتوراة، للتحضير لنشر الجزء التالي من رواية "السحر والحزن"، وهي السيرة الذاتية غير المكتملة لـ"روي"، والتي بلا شك أشهر أعمالها، والمفضلة لديَّ على أي حال.

بعد مرور عشرين عامًا، لا أزال أتذكر بوضوح اليوم الذي أمسكت فيه لأول مرة بين يدي - المغطاة بالقفاز الأبيض - الدفاتر التي كتبت فيها بخط يدها عشرات الصفحات التي أصبحت فيما بعد رواية "الوقت الذي فاتني". لم أذهب قط لزيارة منزلها التابع لحي "بيتيت ريفيير سان فرانسوا"، ولم أشعر بأي عاطفة خاصة عندما مررت بالمجمع السكني "شاتو سانت لويس" في "جراند آلي" بمدينة "كيبيك"، حيث عاشت لسنوات في شقة مع زوجها.

لم أجمع أبدًا تذكارات لكُتاب، سواء كانت الطبعات الأولى أو النسخ الموقعة أو غيرها من الأشياء النادرة. ومع ذلك؛ أتذكر أنه في ذلك الصباح، اجتاحتني مشاعر فاجأتني. كنت أحمل في يدي شيئًا هشًا مثل جناح فراشة، سافر عبر الزمن. كانت هذه الأوراق القليلة هي منزل "جابرييل روي" الحقيقي، المبنى الذي عملت على بنائه حتى أنفاسها الأخيرة، والذي تركته غير مكتمل، لكنه قائم.

***

إذا لم أذهب إلى "أمهرست"، فإن المكان الوحيد الذي يمكنني أن أقابل فيه

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أو أزور "إيميلي" هو بيت قصائدها. لكننا لا نتحدث اللغة نفسها.. فلغتها الشعر.. ولغتي النثر.

الشعر هو دائمًا لغة أجنبية. وبالنسبة للذين يتحدثون ويقرأون الفرنسية، فإن الشعر الإنجليزي هو لغة أجنبية ثانية، بلد غريب وبعيد جدًا. أولًا.. أنت لا تعرف شيئًا. ثم ستعرف ما لا تعرفه، قطعت نصف المسافة. بعدها تأتي الكلمات والصور في دوائر. تواجههم مرة أخرى كما لو كنت في أحلام نصف منسية، ولا يزال معناها يهرب منك. تعلمك الكلمات معانيها.

يقتربون من قرائهم بحذر لترويضهم، وسرعان ما ستتجول في قصائد مثل الغابة، غامضة بنفس القدر، لكن الضوء الغامض تكسره مسارات وأشعة الشمس. وسرعان ما تبدأ في العيش في الغابة، وتتعرف على الطيور والمخلوقات والبرك السوداء وأشجار البلوط الشاهقة. وسرعان ما تبدأ الغابة في النمو بداخلك.

***

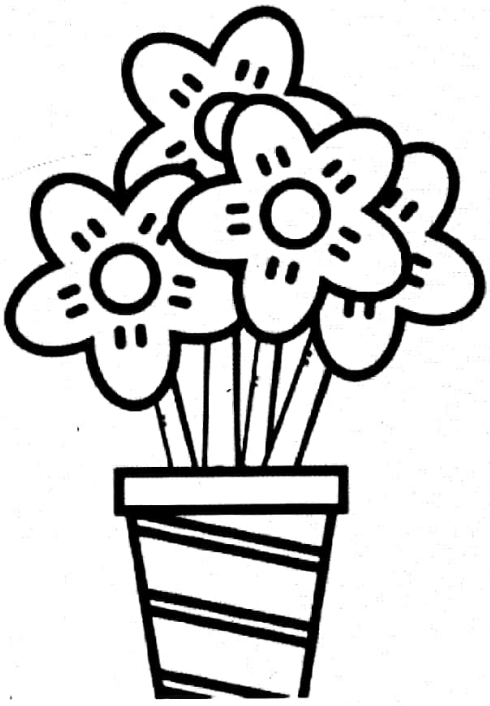

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بعد الخمسين يفعل "أوستن" ما لا يمكن تصوره بالنسبة لأحد أفراد عائلة "ديكنسون".. يتخذ عشيقة. تصغره "مابل" بخمسة وعشرين عامًا، مفعمة بالحيوية وجميلة ورائعة ومتزوجة. لكن زوجها عالم فلك لا يأبه لتلك العلاقة بين زوجته وأوستن..

تشعر "سوزان" بالصدمة عندما تقرأ في يوميات "أوستن"، في اليوم التالي لقضاء المساء بمفرده مع المرأة الشابة، عبارة: "خطأ لا رجعة فيه".

هناك عدد قليل من المصابيح التي تبدو من خارج النوافذ بمنزل "إيفرجرينز" بعد غروب الشمس، من الخارج يبدو المنزل غارقًا في الظلام.. كأن الحب أخذ نوره لمكان آخر.

***

مر أكثر من عامين ولم ترتدِ "إيميلي" سوى اللون الأبيض، وهو لون قصائد ندفات الثلج الغريبة التي تجمعها في أدراجها دون أن تشاركها مع أحد، كما لو أنها تخشى أن تذوب في يد أخرى غير يدها.

وفي الوقت نفسه؛ أصبحت "لافينيا" أكثر قتامة. وتحولت من ارتداء فساتينها باللون البنفسجي الغامق للون البنفسجي الفاتح، ثم إلى البني، وسرعان ما ستلبس الأسود فقط، ترتدي ملابس حداد، كان الأمس مثل اليوم.. مات في نظرها.

تحرس بغيرة عزلة أختها الكبرى، التي بدأ الناس في المدينة يطلقون عليها - بإعجاب مشوب بالسخرية - لقب الملكة المنعزلة، أو الأسطورة. تعلن لزائر غير متوقع حليق الذقن، يأتي ذات صباح وفي يده باقة من البنفسج، أن "إيميلي" لن تنزل. يقول الزائر:

- لا يهم، سوف أصعد لها.

تقفز "لافينيا". تقفز "إيميلي" أيضًا في أعلى السلم. قالت "لافينيا":

- تصعد، الفكرة نفسها مرفوضة! ولكن إذا كنت ترغب في تناول الشاي في الصالة، فنحن نرحب بك بشدة.

ذهبت إلى المطبخ ومعها زهور البنفسج، لتقوم بعمل الشاي. تسمع "إيميلي"

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

خطوات مترددة تتجه نحو صالة الاستقبال قبل أن تعود مرة أخرى وتبدأ في صعود السلم. تسرع إلى غرفة نومها وتغلق الباب خلفها. يتوقف الزائر خارج الباب ويعلن:

- جئت لأتحدث عن شعرك.

لو ظن أنه وجد مفتاحًا سيفتح الباب بطريقة سحرية، فهذا لم يحدث. تجيب "إيميلي" من خلف الباب المغلق:

- حسنًا، تحدث.

فجأة، أصبح في حيرة من أمره، وهو أمر نادرًا ما يحدث. في الحقيقة، كان يود أن يسألها عن قصائدها الغريبة، التي تحتوي على أجزاء متساوية من الصمت والكلمات، والتي تذكره - دون أن يعرف السبب الحقيقي - بالرسائل المشفرة في الزجاجات التي تلقى في البحار. يجلس على الأرض. يخرج شعاع من الضوء من تحت الباب. تناديه "لافينيا" من الطابق السفلي، لكنه لا يرد. يسأل شعاع الضوء الذهبي:

- لماذا لا تريدين نشرها؟

لكن هذا ليس بالضبط ما أراد أن يسأله. ما لا يفهمه هو لماذا وافقت هذه المرأة الفضولية على أن تعرض عليه القصائد؟ ثم ترفض بشدة نشرها للعامة؟ لماذا هو؟ ليس شعر "إيميلي" الذي يريد مناقشته، بل "إيميلي" نفسها.

على الجانب الآخر من الباب، انسحبت "إيميلي". اتخذت مكانها بالقرب من النافذة، توقفت دقات قلبها عن التسابق. عندما تتسابق دقات قلبها مرة أخرى، فذلك لأنها رأت وميض اللون الأحمر لطائر "الكاردينال" بين أوراق شجرة القيقب.

***

عند نافذتها تعلق "إيميلي" حبلًا مجدولًا يتأرجح بلطف في مهب الريح، وهو ليس سُلَّمًا للسناجب، على الرغم من أن عددًا منهم حاول تسلقه، أو استخدامه للتسلل دون أن يلاحظهم أحد تحت ضوء القمر، رغم أنها كثيرًا ما حلمت بذلك. إنه موجود لتنزل به سلة من الخيزران مبطنة بمنديل أبيض نظيف، تضع بها بسكويت

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الزنجبيل لبنات أخيها وابن أخيها، الذين ينتظرون في الأسفل.

نحن لم نندهش من أن "إيميلي ديكنسون" خبازة، فلماذا نتفاجأ عندما نعلم أنها عمة؟ لأن الناس يعتقدون أن الشعراء ليس لديهم عائلات، لكن هذا ليس صحيحًا بالطبع. الشعراء هم بنات وأخوات وأبناء عمومة. وتبقى القصيدة وحدها هي اليتيمة.

***

من بين أطفال "أوستن" و"سوزان" الثلاثة، يبقى الابن الأصغر والوحيد "جيلبرت"، هو المفضل لدى "إيميلي". بخصلات شعره الأشقر، وعينيه الواسعتين مثل الصحون الصغيرة، يمشي بين أزهار الزنبق العالية ويشعر بالدهشة من كل ما يكتشفه.. عش سقط من شجرة، يرقة ذات شعيرات زرقاء طويلة، وبصمة قدم كلب في التراب. تستمع إليهما الأشجار وتراهما بعيونها الخضراء وهما يتحدثان، العانس الطويلة التي ترتدي ملابس بيضاء وتميل من نافذتها، والطفل الذي يجلس على دراجته ذات الثلاث عجلات ناظرًا في دهشة إلى السماء.

ترى "إيميلي" العالم بنظرة جديدة من خلال عيون ابن أخيها، ويرى "جيلبرت" ذلك مع عمته للمرة الأخيرة. إنهم لا يعرفون ذلك بعد، لكن الأشجار لديها شكوكها.

***

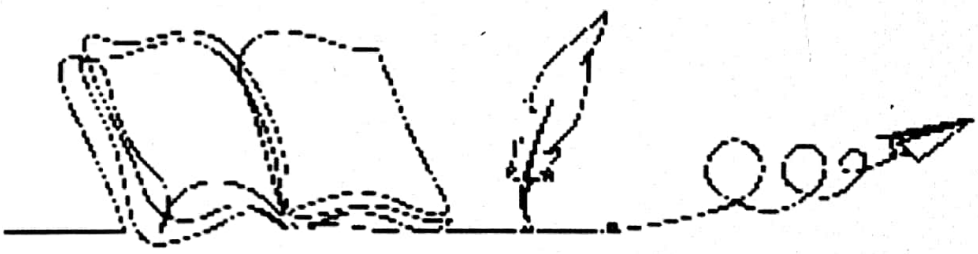

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لا يوجد أي معنى للبحث عن نقطة تحول أو مفترق طرق في حياة "إيميلي ديكنسون". لعقود من الزمن؛ حاول الناس اكتشاف، أو حتى فبركة حدث مهم، أو صدمة، أو قصة حب لم تكتمل مع رجل أو امرأة. في كلتا الحالتين، يبحثون عن خيانة ما، أو بعض الجنون الذي قد يفسر العزلة الغريبة عن المجتمع، تلك العزلة التي اختارتها "إيميلي" لتقضي فيها النصف الثاني من حياتها.

العقول التي تريد أن تفهم.. تحاول أن تعرف ما قبل وما بعد، يفصل بينهما سوء الحظ أو المأساة أو اكتشاف. تريد أن نقرأ مشهد حياتها كالجبل، قمته هي ذروة الأحداث، ومركزه، ونقطة ارتكازه. ولكن بقدر ما يمكن للمرء أن يحفر وهو يكتب السيرة الذاتية، ويدقق في الرسائل وروايات شهود العيان، لا يمكن العثور على مثل هذا الحدث، الذي يمكن اعتباره مؤثرًا ومغيرًا لمجرى حياتها.

لا توجد كارثة، ولا نقطة تحول، ولا انقسام. كان انسحاب "إيميلي" تدريجيًا. ربما ببساطة، مثل معظم الأشخاص الذين مع تقدمهم في السن، يصبحون أكثر ثباتًا في عيشتهم ويصبحون أكثر عمقًا في أنفسهم، استسلمت لميلها الطبيعي للعزلة، التي يكون نتيجتها الطبيعية الصمت. عندما تفكر في الأمر ليس من الصعب حقًا تخيل ذلك السبب، بل من الصعب أن تفهم لماذا لا يتخذ مزيد من الكُتاب الاختيار نفسه الذي اتخذته؟!

***

هي لا تختبئ، إنها ليست منعزلة. إنها في جوهر الأشياء، في أعماق نفسها، متأملة، تتأمل بعمق وتوازن النحل في الحديقة والمجموعة النجمية، والنجوم الكبيرة والصغيرة التي تضيء في السماء عندما تغرب الشمس، يدوران مثل العصا الموجودة بالساعة الشمسية.

إنها حياة مثالية، محكمة بشكل مثالي، منغلقة، متكورة وملتفة حول نفسها مثل البيضة.

يأتي كل يوم في صورة دورة كاملة، تبدأ بظهور الشمس فوق رؤوس الأشجار، ذهبية في الصيف، نحاسية في الخريف، زئبقية في الشتاء، ووردية في الربيع، وتنتهي باختفائها في الطرف الآخر من السماء. الليل المظلم.. عدم. وفي صباح

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

اليوم التالي، الشيء نفسه، ولكن في الواقع ليس بالضبط.

في هذا التكرار الرائع للأشياء.. في هذا الوقت المعلق؛ تمكنت - في ومضات - من فهم ما يهمس به العشب وما تهمس به الريح. لا توجد وسيلة للتوقف، سوى الدوران بالسرعة نفسها التي تدور بها الأرض حول الشمس، والاستسلام للدوار.

***

الخريف لا يحتاج إلينا، إنه يكتفي ذاتيا بما لديه من ذهب وبرونزيات فخمة. لديه الكثير لدرجة أنه يرمي بثرواته على الأرض في نوبة من الضحك. ويعلم أن الصيف قصير، والموت طويل.

تفتح "إيميلي" النافذة وأنفاسها تتقطع تقريبًا. تدخل رائحة العطور إلى رأسها. لقد أصبح العالم أكثر كثافة منذ أن بدأت تفكر فيه من غرفة نومها في الأعلى. كما لو أن النافذة ركزت الألوان، مثل الكاميرا البدائية، الكاميرا المظلمة. لكي ترى العالم بشكل أفضل، ولكي تستوعب كل شيء، عليك أن تنظر إليه من خلال ثقب المفتاح.

***

ليس صحيحًا أن لديها غرفة نومها فقط.. لديها أغنية الزرزور، ظلام ليالي نوفمبر الحالكة، أمطار الربيع، الأصوات المألوفة التي تصعد من الأسفل مع رائحة الخبز، رائحة أزهار التفاح، حرارة الحجارة التي تدفئها الشمس في نهاية اليوم، كل الأشياء التي نفتقدها بعد الموت.

***

سنة بعد سنة يصبح قطر دائرتها الخاصة أصغر، مثل الحبل عندما يدور ويلتف حول نفسه. سنة بعد سنة، هذه الأشياء تقترب أكثر من قلبها.. غرفة النوم، المكتب، والمحبرة. سينتهي الأمر بالعالم جاثمًا على طرف القلم الذي تحمله في يدها.

يكتب القلم من تلقاء نفسه في يد "إيميلي". يروي قصة الطائر، من بيضة في جوف العش إلى أول رحلة تجريبية له مع التحليق، ضوء الصيف من مستوى نصل العشب الأخضر، هشاشة الخريف، الهجرة الطويلة جنوبًا، العودة في الربيع. كل هذا

يحكيه القلم لمن يعرف كيف يضع الورقة على أذنه مثل الصدفة ليسمع.

تستطيع "إيميلي" - دون أن تدري كيف - أن تلمح بداية ونهاية كل شيء، لا تستطيع رؤية طفل رضيع دون أن تتخيل الرجل العجوز الذي سيصبح عليه، وبالمثل، عند رؤية رجل عجوز، يمكنها بوضوح رؤية الطفل الذي لا يتذكره. للحظة، ترفع القلم عن الورقة لأن الحبر قد نفد منه. وبدلًا من غمسه في المحبرة، تضع بلطف الطرف الفضي للقلم في وسط كفها. يرسم القلم خطوط يدها.. القلب، الحياة، المال، الحلزون.

***

تعرضت الأم لأزمة صحية تركتها ضئيلة وضعيفة وكأنها مهزومة، لا يزال بإمكانها التحرك والتحدث، لكنها تفعل ذلك بتردد، كما لو أنها تجد صعوبة في تذكر كيف تفعل ذلك.

تقضي معظم أيامها في السرير، أحيانًا تخلط بين ابنتيها، أو لا تتعرف عليهما على الإطلاق. تعتني "لافينيا" و"إيميلي" بالمريضة ليلًا ونهارًا، تطعمانها، وتعتنيان بها، وتقرآن لها.

كل صباح تدخل "إيميلي" غرفة نوم والدتها ومعها صينية الإفطار.. بيض وعصيدة وخبز طازج والشاي بالحليب. تفتح الستائر، وتخبرها عن الطقس، وتسندها على الوسائد، وتطعمها بصبر بملعقة فضية صغيرة.

"إيميلي"، التي قالت إنها لم يكن لديها أم قط:

"كنت أركض دائمًا إلى المنزل في حالة من الرهبة عندما كنت طفلة، إذا أصابني أي شيء.

كانت أمًا فظيعة، لكنني أحببتها أكثر من لا شيء".

فجأة وجدت نفسها وكأن لديها ابنة.

***

عند بزوغ الفجر، استيقظت "إيميلي" على قرع الأجراس. يأتي ضجيج من

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الشارع، اضطراب ممزوج بصوت حوافر الخيول، وصياح الرجال، وما يشبه الانفجارات البعيدة. تأتي "لافينيا" إلى غرفة نومها على الفور، مرتدية ثوب النوم، وشعرها منسدل:

- لا تقلقي. إنها احتفالات الرابع من يوليو، أتذكرين؟

توافق "إيميلي"، فالوضع رهيب لدرجة أنه يتطلب الكذب عليها، تساير الأمر، تقول:

- بالطبع. لقد نسيت. إذن، ربما ينبغي لنا أن نذهب إلى غرفة نوم أمي، حتى لا تقلق.

تجلس الأختان في نهاية سرير المريضة، التي لا تستيقظ طوال الصباح، بينما يستمر دق الأجراس في الخارج، ويستمر موكب الخيول والصراخ. تنبعث رائحة دخان قوية من النوافذ المغلقة بينما تلعبان الورق. تقوم "لافينيا" بتضفير شعر "إيميلي" على شكل تاج. تتناوبان قراءة آيات من الكتاب المقدس، وتتحديان بعضهما في تسمية المقطع.

بعد الظهر؛ عندما هدأت الاضطرابات، نزلتا إلى المطبخ لإعداد البيض لتناول طعام الغداء.

- كما ترين، إنه فقط الرابع من يوليو.

قالت "لافينيا"، بينما في الطرف الآخر من المدينة، لا يزال الدخان يتصاعد من بقايا المتجر العام وسبعة منازل. فكرت "إيميلي" وهي تسخن الماء لإعداد الشاي، لو أن الريح كانت تهب في الاتجاه الآخر، لما تبقى منا شيء. الورق يحترق بسرعة كبيرة.

***

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أثناء قيامنا بعمل تجديدات في منزل "أوتريمونت" العام الماضي، اكتشفنا - عندما قمنا بهدم الحائط الفاصل بين غرفة الطعام الصغيرة وغرفة الطعام الكبيرة، التي تمت إضافتها إلى المنزل بعد نحو أربعين عامًا من بنائه - أن هناك عشرات البطاقات الصغيرة التي بدأ لونها يصفر، كل واحدة منها تصور قديسًا. كانت أكبر قليلًا من ورق اللعب، ألوانها فاتحة، وأنها تشكل عائلة فضولية، تذكرنا بالسيرك، والكنيسة، وقوافل الغجر المتجولين.

تُظهر البطاقات السيدة العذراء وكفيها مقلوبتين، حافية القدمين، مكللة بالنجوم، ترتدي رداءً بزخارف مذهبة وتاجًا مقببًا، والقديس "أنطونيوس" البادواني شفيع الاشياء الضائعة، و"أندراوس" الرسول، وسيدة جبل الكرمل، والحبر الأعظم أثناء الصلاة (كان البابا "بيوس" الثاني عشر يتلو صلاة اليوبيل عام 1950 للمرة الأولى).

تحمل بطاقة صورة الأم الأكثر إثارة للإعجاب على وجه البطاقة، ومجموعة من الملائكة يحرسونها، وسيدة المعونة الدائمة على الوجه الآخر للبطاقة. أما البطاقات الأخرى فتصور المسيح على الصليب، والطفل المقدس في المهد، والقيامة، ويسوع يعظ الأطفال، وعلى بطاقة طويلة ورفيعة مثل الإصبع، طفل أشقر صغير وذراعاه مملوءتان بالورود.

لا أستطيع أن أقول إنني فوجئت برؤية هذه العشيرة الصغيرة تخرج من الحائط. كنت أعلم دائمًا أننا لسنا وحدنا هنا.

***

عندما يسألني الناس أين أعيش؟ أحدد مدينة "أوتريمونت" بدلًا من "مونتريال" (مدينة "مونتريال" أكثر دقة بعد دمج البلدية منذ عدة سنوات، وهي معروفة أكثر، على الأقل للأجانب) لأنني أشعر أن "أوتريمونت" لا تزال كبيرة للغاية. أعيش في شارع به حديقتان، على الجبل المجاور. حتى بوصولي إلى منطقة "فان هورن"، أعتبر نفسي لم أعد للمنزل بعد، كما لو كنت في مناطق بعيدة مثل "هاتشيسون" أو "لوربيه". تعتبر "أوتريمونت" الخاصة بي منطقة صغيرة، تصطف شوارعها بمنازل من الطوب الأحمر تعود إلى مطلع القرن الماضي. كان لديّ انطباع منذ فترة طويلة - عندما كنت أسير مع كلبي "فيكتور"، وبعد ذلك مع "زوي"

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في عربتها - أن السكان الأصليين الذين يشاهدوننا نسير يبدون في حيرة من أمرهم بعض الشيء.

تقع "أوتريمونت" الخاصة بي عند تقاطع عام 1917 (العام الذي بني فيه منزلي) و2017 (العام الذي أكتب فيه هذه السطور)، تشبه إلى حد ما إحدى تلك المرايا التي تفتح عند الضغط الخفيف عليها، لتكشف عن ممر سري في حائط، خزانة مخفية، أو مرآة أخرى.

ما تركته في طريقي إلى "بوسطن" كان ماضيًا لم أختبره، ولكنني عشت فيه رغم ذلك.. ثمانون صيفًا وشتاءً لشجرة القيقب التي نملكها، والأشخاص الورقيون الصغار الذين يعيشون داخل جدراننا دون اكتشافهم.

تم قطع شجرة القيقب منذ عامين تقريبًا، بعد أن كادت أن تخلع سقف المنزل في إحدى الأمسيات ذات الأمطار المتجمدة والرياح العاتية. استعمر الفطر الأبيض الصغير الجذع تدريجيًا، من المحتمل أن نقوم بإزالته وزرع شجرة جديدة. لكني مازلت أكتب لظل شبح شجرة القيقب.

***

أتذكر أنني كنت واعية تمامًا عندما كنت طفلة أعيش في مدينة الأطفال. انتقلنا إلى شارع "لا ريفيير" في "كاب روج"، بعد وقت قصير من ولادتي؛ لم يكن الشارع موجودًا منذ بضع سنوات. كنا نعيش في منزل صغير جاهز لم يسكنه أحد من قبلنا، الأمر الذي أذهلني.. كان المنزل مبنيًا داخل منزل أكبر! مثل مبنى لعبة مصنوع من كتل خشبية. لم يكن هناك شيء موجود من قبل، وكان ذلك مربكًا.

لا شيء يربطنا بالمكان، في أي لحظة من الممكن أن نرحل إلى الأبد. ومع ذلك، لا بد أنني كنت أعرف في ذلك الوقت أن أختي كانت نائمة في نعشها تحت الأرض. تم تحويل غرفة نومها إلى غرفة أطلقنا عليها اسم "الوكر"، حيث كنا نشاهد التليفزيون، في صمت. ومن وقت لآخر، كنت أشعر برعشة كالكهرباء تسري في أوصالي. لقد عاشت هنا، وحلمت هنا، ولم يبقَ لها أي أثر. اختفت.. ولم يعد هناك وجود إلا للصمت.

عندما كنت طفلة، حاولت عن طريق الكتب والمنازل واللوحات والأصداف،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أن أخدش هذا السطح المادي للأشياء، أن أغوص في أعماق هذا العالم، لأنه تحت هذا العالم لا بد وأن يكون هناك شيء آخر، بعيدًا عن العين، ولا بد من التنقيب عنه بلطف، مثل استخراج الآثار الهشة المدفونة أسفل المدن، باستخدام أدوات دقيقة للغاية.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

توقفت "إيميلي" منذ فترة طويلة عن مغادرة الحديقة، ثم المنزل، وفي النهاية ظلت منعزلة في غرفة نومها طوال اليوم تقريبًا. عندما يأتي لها الزوار، تستقبلهم أحيانًا، لكن من خلف ساتر. يجلسون على كرسي في غرفة مهجورة، وتأخذ مكانها على الجانب الآخر من الحاجز، ويتحدث كل شخص إلى الحائط.

الزوار قليلون ومتباعدون، والقليل منهم يعودون للزيارة مرة أخرى. لا أحد يحب الذهاب إلى الاعتراف. ومع ذلك؛ فإن هذه العلاقة الحميمية الغريبة مع الغائب وراء الساتر تدفع أكثر من شخص إلى التعبير عن أفكار لم يعرف حتى إنها لديه، ويغادرون وهم يشعرون بقليل من الخجل، مع شعور غامض بأنهم قد خُدعوا، ولكن لا يعرفون من الذي خدعهم!

تقدم "إيميلي" للزائرين هدايا صغيرة كما يمكن أن يتخيلها طفل ليسامحوها.. غصنًا من زنبق الوادي، وردة، برسيمًا أبيض نقيًا، وأحيانًا بضع أبيات شعرية، أو كأسًا من الشيري الذهبي.

تتوقف عن الخروج؛ لكنها لا تتخلى عن حديقتها. تنضم إليها الحديقة في غرفة النوم.. حيث تزدهر. يندهش الناس بغطرسة لأن "إيميلي" اختارت العيش بين الزهور.

اندهش الناس من سنواتها الأخيرة التي قضتها في عزلة، كما لو أن ذلك إنجازًا فوق طاقة البشر، لكن، أكرر أن ما يثير الدهشة هو أن الكتاب لا يفعلون ذلك، لماذا لا ينغلق المزيد من الكتاب على أنفسهم بهدوء في المنزل ليكتبوا؟ أليس سيرك الحياة العادية، بتفاهاتها والتزاماتها التي لا نهاية لها، فوق طاقة البشر؟ لماذا نندهش من أن الشخص، الذي يعيش في المقام الأول من خلال الكتب، يختار التضحية باتصاله مع زملائه من المخلوقات؟ يجب أن يكون لديك رأي مبالغ فيه عن نفسك حتى ترغب في أن تُحاط دائمًا بالذين يشبهونك.

"أنا أسكن في الاحتمال

بيت أكثر جمالًا من النثر

به مزيد من النوافذ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقليل من الأبواب".

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نجت ثلاث رسائل طويلة إلى "السيد" - الذي لم يذكر اسمه - من قبضة الزمن، وعيون الأقارب والناشرين الذين تولوا أمور "إيميلي". هل كانت هذه المسودات عبارة عن ثلاث رسائل محمومة لاهثة أرسلتها إلى المتلقي المقصود؟ أم أن "إيميلي" كتبتها وقررت الاحتفاظ بها لنفسها؟ أم أنها كتبتها وهي تعلم أنه لم يكن من المفترض إرسالها.. وأنها لم تكن تكتب إلى مستلم حقيقي؟!

كما هو الحال مع كل شيء آخر، فإن الإجابات واهية ومتناثرة للغاية بحيث يمكن اختيار التفسير الذي يناسب كل شخص. وجهة نظري.. أن هذا "السيد" ليس له وجود، لقد أرادت أن تخترعه، لكنها لم تستطع ذلك، ولم تغفر له أبدًا.

***

عندما تفيض أدراجها بالقصائد.. القرفة، الشوكولاتة، والبذور، الدقيق، السكر، تبدأ "إيميلي" في تجميعها في كتب صغيرة. تبدأ بنشرها على مكتبها لرؤيتها جميعًا أمامها. وسرعان ما تغطي السطح الخشبي. تقف، وتضع بعض القصائد على كرسيها، ثم على التسريحة، ثم تقرر وضعها على الأرض، جنبًا إلى جنب، دون أن تتلامس، مثل قطع أحجية ضخمة.

تملأ القصائد غرفة النوم وتفتح قنوات ضيقة بين قطع الورق وتسير بينها على أطراف أصابعها حتى لا تتقطع، وتتقدم بحذر، كما لو كانت تمشي على بركة متجمدة تهدد بالانهيار تحت ثقلها. عندما تنشر كل القصائد، تقف هناك تراقبها. لترى ما إذا كانت هناك ريح أو شرارة؟

تنحني؛ وتختار قصيدة بشكل عشوائي، وتبحث عن أختها أو ابنة عمها. تعثر عليها على الجانب الآخر من الغرفة. ممتاز. الآن لديها اثنتان في يديها. من الصعب العثور على قصيدة ثالثة مرتبطة بالثانية، وتتحدث مع الأولى أيضًا في حوار خاص. من الواضح أن الصعوبة تزداد مع العدد. بعد ساعتين عندما تجمع "إيميلي" مجموعة من حوالي خمس عشرة قصيدة، تصاب بالدوار كما لو كانت قد شربت بعد النبيذ الأحمر. تقوم بتجميع القصائد المتبقية بعناية، وتأجلها حتى الغد.

لكن المهمة أصبحت أكثر تعقيدًا أثناء الليل، لأنه لم يعد لديها القصائد الأكثر بلاغة وجاذبية، والتي تتوافق بكل سرور وتقيم صداقة مع الآخرين، مثل الضيوف

المسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المرحين الذين يريحون الجميع في السهرة. كلما تقدمت أكثر، أصبحت القصائد المتبقية مخيفة، شائكة مثل ثمرة الكستناء، تقاوم الاتصال بأقرانها. وسرعان ما تصبح محاطة بقصائد تشبهها.. مجموعة صغيرة من المنعزلين.

يمر أسبوع قبل أن تضطر إلى مواجهة الحقائق.. ستتراجع عن جميع المجموعات التي أنشأتها بشكل مؤلم وتبدأ من الصفر، وهذا ما ستفعله. وتعيد الكرة مرة أخرى خلال بضعة أسابيع، ثم بعد بضعة أشهر. يستغرق الأمر ما يقرب من عام قبل أن تتمكن من العثور على عائلة ومنزل لكل قصيدة منهم.

***

جمعت القصائد في ملزمة مكونة من عشرات الصفحات. ثم استعارت سلة الخياطة من "لافينيا"، أمسكت إبرة خياطة، ووضعت كشتبانًا فضيًا في نهاية إصبعها، وبعناية فائقة، أخذت تخيط الكتب الصغيرة ذات النسخة الواحدة غرزة تلو الأخرى.

لكن كلمة "الملزمة"، التي لا تزال تُستخدم لوصف المجموعات الرفيعة المكتوبة بخط اليد والتي تم تجميعها في غرفة نومها، تعني، أولًا، في علم الصيدلة، كمية النباتات التي يمكن للمرء أن يحملها في ثنية ذراعه ويده مستندة على الورك، تقدر باثنتي عشرة ورقة. قبل أن تصبح كتابًا، كانت الملزمة عبارة عن مجموعة من النباتات العلاجية.

***

أجابت على أحد المراسلين الذي سألها ذات يوم، كيف تعرف إنها في حضرة الشعر أو مهيأة لكتابته؟

"إذا قرأت كتابًا وجعل جسدي كله باردًا جدًا.. فلا يمكن لأي نار أن تدفئني، أعلم أن هذا هو الشعر.

إذا شعرت وكأن رأسي قد انخلعت، أعرف أن هذا هو الشعر.

هذه هي الطرق الوحيدة التي أعرفها. هل هناك أي طريقة أخرى؟!".

بعد مرور مائة وخمسين عامًا، بينما كان الشاعر والكاتب الكندي "ليونارد

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كوهين" يتحدث عن الرماد، تتحدث "إيميلي" عن البرد. وفي كلتا الحالتين، كلا القصيدتين هما الوجه الآخر للنار.

***

يسكن الموت كل القصائد، وليس الموت فقط، بل الاحتضار أيضًا. اللحظة الأسمى، معلقة مثل القوافي في قصائدها، مثل ندفات الثلج في العاصفة. حين يبدو أنها في منتصف الطريق، تنظر إلى السماء، وتتفقد السحب باحثة عن المعنى.. ولكن يبدو الأمر غائبًا كما تغيب شمس شهر يونيو؛ مثل رجل مشنوق يتأرجح، في نهاية الحبل.

***

في تتابع سريع، لا يفصل بينهما سوى عام واحد، يذهب الأب للنوم في المقبرة، ثم تنضم إليه الأم. تبقى "لافينيا" و"إيميلي" وحدهما في المنزل الكبير، "لافينيا" مع قططها و"إيميلي" مع كلبها. لديهما خادمة تدعى "مارجريت" ليس لديها حيوانات أليفة.

مات والدها، لكن "إيميلي" لم تذهب أبدًا للجلوس بجانب قبره. يمكنك البكاء على الموتى في أي مكان، لكن "إيميلي" لا تبكي. في أحد الأيام، تذهب إحدى صديقاتها إلى المقبرة، وتلتقط زهرة برسيم مكونة من أربع أوراق من العشب بالقرب من شاهد القبر، وتعطيها لـ"إيميلي". تقبل "إيميلي" الهدية وتقضي وقتًا طويلًا بعد مغادرة الزائرة، تفكر في الصليب الأخضر الصغير. ثم تضع زهرة البرسيم لتجف بين صفحات الأعمال الكاملة لشكسبير، والتي تضم بالفعل العشرات منها، إنها مقبرتها الصغيرة الخاصة.

***

يقول الناس، إنه في هذا الوقت من حياتها كانت تحب حبًا كبيرًا، ربما هو الحب الوحيد في حياتها. كان القاضي "أوتيس فيليبس لورد"، وهو صديق قديم لوالدها ويكبرها بحوالي خمسة عشر عامًا، يتودد إليها باجتهاد، وردت عليه برسائل مليئة بالمشاعر. هل كان الزواج ممكنًا حقًا بينهما؟ هل فكرت "إيميلي" حقًا في أن تترك "أمهرست" لتعيش في "سيلم"، أرض أبناء عمومتها الساحرات؟

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أم أنها كانت تحاول اختراع حياة على الورق للمرة الأخيرة؟ لم يبقَ شيء تقريبًا من علاقتهما الرومانسية، فقد تم تدمير رسائلهما، ولم يتبقَ سوى مسودة وحيدة، وقصص تنتقل عبر أجيال العائلتين. مات الخطيب قبل أن يتم الاحتفال بالزواج أو الدخول أو حتى الإعلان عنه. لن تكون "إيميلي" أرملة أبدًا.

لقد وصلت إلى عمر أصبح فيه عدد الموتى أكثر من عدد الأحياء في دائرة معارفها.. "صوفيا" والأب والأم و"جيلبرت" ذو الخصلات الشقراء. يستريحون تحت العشب الأخضر.

قد يبدو أن الأرض تخلو من سكانها، لكن السماء لا تبدو أقل فراغًا. ومع ذلك، تأكد من أن الجالسين على المائدة السماوية الطويلة، الأب والأم، ينظران بنظرات صارمة كعادتهما، ينتظران أطفالهما، الذين تأخروا مرة أخرى.

***

خلال الأيام القليلة الماضية، بمجرد أن تضع رأسها على الوسادة، تسمع أجراسًا. بعد أن أمضت حياتها تشكك في وجود الرب، أصبح لديها الآن كاتدرائية في رأسها.

لقد لازمها شعور دائم بأن شخصًا ما يتبعها. عندما كانت فتاة صغيرة، كانت تجلس على مقعد البيانو وساقاها متدليتين، وتعزف بعض النغمات لتجذب مطاردها، ثم تستدير بسرعة. لكن لم يكشف هذا الشخص عن نفسه. عندما كانت تتجول في الحديقة، كانت تتوقف للحظة بالقرب من شجرة، تضغط نفسها على الجذع، وتحدق في الطريق الذي سلكته. لكن الشخص لا يظهر.

هذا الظل يسير خلف "إيميلي" في الشارع، وفي ظل المنازل، يتبعها إلى القبو عندما تذهب لإحضار البطاطس. يجلس إلى جانبها في ماء الحمام الدافئ، ويستلقي معها على الملاءة القطنية، وكلاهما يقرآن الصفحة نفسها، من الكتاب نفسه. بمعنى ما، هذا مؤكد.. "إيميلي" ليست وحدها أبدًا.

***

يقفان معًا أمام النافذة. لا يوجد قمر، لكن النجوم لامعة للغاية لدرجة أنها تشعر

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وكأنها تنظر إليها من خلال عدسة مكبرة. تشكل النجوم رسومات مألوفة في السماء، إنها خريطة للأنهار والمدن والصحاري. في مكان ما هناك، في نهاية طريق متناثر بالحصى الأبيض، تضيء "ليندن".

"إيميلي" وموتها يرتحلان معًا في شهر مايو. في شهادة وفاة "إيميلي ديكنسون"، بجوار كلمة المهنة، كتبت يد دقيقة تمامًا.. "في المنزل".

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ليندن

"ليندن" مدينة باللون الأخضر والأشقر، العسل والبرسيم. في منزل صغير مسدل الستائر، تعيش "صوفيا" و"جيلبرت"، اللذان يبلغان من العمر خمسة عشر وثمانية أعوام إلى الأبد. يأكلان كعك الزنجبيل ويشربان الحليب الدافئ على الإفطار. تتجول الكلاب في الشوارع، كل الكلاب المحبوبة التي ماتت. البحر دائمًا قريب، يمكنك سماعه ولكنك لا تراه أبدًا. في "ليندن"، تخرج "إيميلي" من غرفة نومها، وتنزل السلم، وتعبر عتبة منزلها الورقي، وتخرج إلى الشارع في شمس الظهيرة، مرتدية فستانًا أحمر قانيًا.

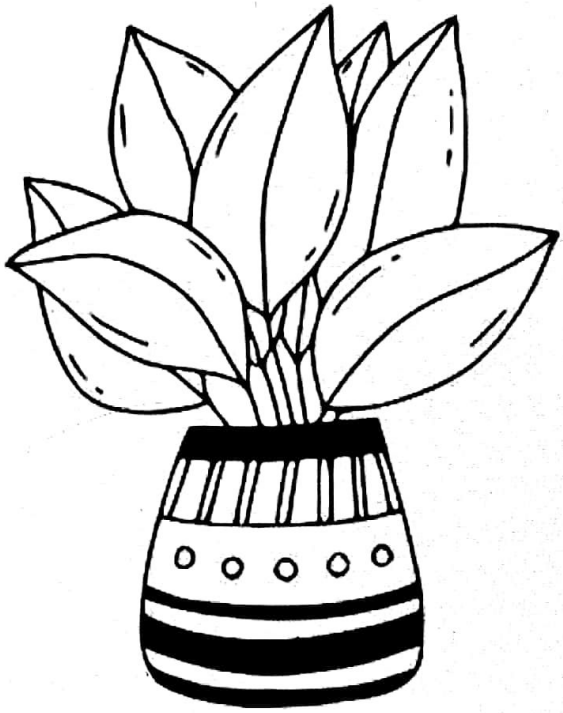

Telegram:@mbooks90

٢٧٠٥٨١٨٦٥٨

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner